الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
المركز الجامعي لميلة

معهد الآداب واللغات — قسم اللغة والأدب العربي

تجليات الواقعية الاشتراكية في الرواية الجزائرية
"نهاية أمس" نموذجا

مذكرة مقدمة لنيل شهادة ليسانس، في اللغة والأدب العربي
تخصص: الأدب العربي

إعداد الطلبة:
- لمياء بلهروس
- مريم بن سمارة
- نجاة خنفري

إشراف الأستاذ:
عبد الحفيظ بورايو

السنة الجامعية: 2012/2011

كلمة شكر

بمناسبة اكتمال بحثنا هذا يسرنا بذلك أن نتقدم بفائق التقدير والاحترام والشكر إلى القلب الكبير الذي وسعنا بحبه وأضاء مسيرتنا بعلمه وحنانه

أستاذنا الأكبر " عبد الحفيظ بورايو"

الذي كان لنا نعم الأستاذ وذلك بصبره على كل ما بدر من أخطاء ارتكابنا ها في بحثنا هذا محاولا بذلك توجيهنا إرشادنا بعلمه الواسع إلى الدرب الصحيح وذلك بنية صادقة وقلب رحب تاركا لنا حرية البحث والاكتشاف في سبيل اكتساب المعرفة وترسيخها في أذهاننا والتي قد قمنا بالتوصل عليها بفضل بحثنا المستمر من مختلف الكتب التي أرشدنا إليها والتي عملت على إنتاج وإغناء هذا البحث ودفعت به درجة الاكتمال.

كما أننا نتقدم أيضا بالشكر إلى كل من ساعدنا من قريب أو بعيد على إنجاز هذا البحث وعمل على إخراجه إلى النور ونخص بالذكر الأستاذ المحترم " يوسف بن جامع"، الذي بفضل توجيهاته المستمرة لنا وتقديمه لبعض الكتب التي أثرت بحثنا فقد تمخض عن كل ذلك هذا العمل المتكامل والمنسم والمترابط في أفكاره وعناصره

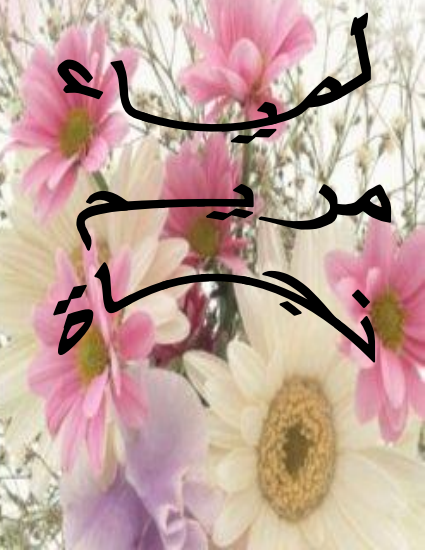

خطـة البحـث

- **مقدمة**
- **مدخل: الرواية الجزائرية**

1 -مدخل حول الرواية

2 -الظروف التي نشأت في ظلها الرواية الجزائرية

3 -أهم أعلام الرواية الجزائرية

4 -أسباب تأخر ظهور الرواية الجزائرية

- **الفصل الأول: الواقعية الاشتراكية في الأدب الغربي والعربي**

1 -مدخل حول الواقعية

2 -الواقعية الإشتراكية في الأدب الغربي

-خصائصها

-روادها

3 -الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي

-روادها

- **الفصل الثاني: توضيح الواقعية الاشتراكية في رواية " نهاية أمس"**

-تمهيد

-لمحة تاريخية حول حياة الأديب الجزائري " عبد الحميد بن هدوقة"

-تلخيص الرواية

-الرواية

-بعض الخصائص الفنية في رواية " نهاية أمس ".

-توضيح الواقعية الاشتراكية في رواية عبد الحميد بن هدوقة " نهاية أمس"

- **خاتمة**
- **قائمة المراجع**
- **فهرس الموضوعات.**

يعود اهتماما بالرواية عند التحاقنا بالجامعة، ولاشك أن هذا الاهتمام كان وليد عوامل مختلفة، تضافرت مكوناتها وتفاعلت عناصرها لتترك بصماتها واضحة، في تغيير مجري دراستنا بالانصراف إلى الحقل الشائك والممتع في نفس الوقت، فبقدر ما كنا مولعين بقراءة الشعر كان شغفنا عظيما بالرواية أيضا وان اختيارنا لهذا الموضوع كان في البدء مجرد قناعة ذاتية ثبتها الإفتتان المتواصل بالرواية، قبل أن يحول هذا الإعجاب ذاته إلى قناعة ونحواية فكرية، وترسخت قناعتنا أكثر بان الرواية هي أكثر الجسور الأدبية الحاملة لقيم المجتمعات في عصرنا الحاضر، ومن هنا كان توجهنا تحديدا للرواية الجزائرية لأنها أولى بالاهتمام والدراسة، وهذا ليس تعصبا بالتأكيد، ولكن تقرب نصوصها وأجوائها من أنفسنا ولكي نسهم ولو بشيء قليل من تسليط الضوء على هذا النوع الأدبي الذي ولد متأخرا في الجزائر، ولكنه استطاع ا يغني النص الروائي العربي ويثمنه بروافد تعبيرية جديدة لم تكن متوقعة منه أو منتظرة، مقارنة بما هو موجود في الدول العربية الأكثو عراقة في الممارسة الروائية والإنتاج الروائي، وباشرنا العمل في البداية بكل حماس لكن كانت هناك صعوبات تلقيناها وكانت في المراجع المتوفرة غير أن هذه الوفرة ذاتها كثيرا ما كانت سببا في ارتكابنا خاصة حين لا ندقق النظ ر فيها ونكتفي بدفقة التأثير المتسع لعناوينها فأصبنا في كل بالخيبة، وتزداد يقينا بأن الأشياء الثمينة تقاس دوما بالكيف والأنفاس قيمتها بالكم.

أما فيما يخص خطة البحث الذي بواسطتها استطعنا إنجاز هذه المذكرة كما يلي:

وضعنا مقدمة، مدخل وفصلين وخاتمة.

ففي المدخل تناولنا فيه الظروف التي نشأت في ظلها الروائية الجزائرية وأهم أعلام الرواية الجزائرية، أسباب تأخر ظهور الرواية الجزائرية أما في الفصل الأول تناولنا فيه الواقعية الاشتراكية في الأدب الغربي، خصائصها، روادها، الواقعية الاشتراكية عند العرب، روادها، أما فيما يخص الفصل الثاني فحللنا فيه رواية نهاية أمس لعبد الحميد بن هدوقة وبعد كل هذا انهينا البحث بخاتمة عرضنا فيها أهم النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الدراسة المتواضعة التي تنتمي أن تفتح لنا بابا جديدا يمكننا من تطور أدواتنا وتعميق آفاقنا، نتمنى أن كون عند حسن ظن الجميع ونحن نخوض غمار البحث بسلاح المبتدئين وجهد العاملين المخلصين.

مدخل حول الرواية:

إن الرواية قصة خيالية نثرية و هي من أشهر أنواع الأدب النثري و تقدم الروايات قصصها شائقة تساعد القارئ في معظمها ، على التفكير في القضايا الأخلاقية و الاجتماعية أو الفلسفية ،كما يحث بعضها على الإصلاح ، و يهتم بعضها الآخر بتقديم معلومات عن موضوعات غير مألوفة ، و تكشف جوهر المألوف و من الروايات ما يكون هدفه مجرد الإمتاع و التسلية .

" و مصطلح الرواية بمعنيه الشكلي و الجمالي هو من مصطلحات القرن العشرين في الأدب العربي ، لقد كتب في هذا" محمد المويلحي "رواية بعنوان" عيسى بن هاشم " و قد كان يعني المفهوم الأول للرواية في اللغة الفرنسية أي عملا خياليا سرديا شعريا قبل أن يصبح في القرن االسادس عشر إبداعيا خياليا نثريا طويلا نسبيا ، يقوم على رسم الشخصيات ثم تحليل نفسيتها و أهوائها ووصف مغامراتها كأن الرواية في عصرنا الحاضر هي النثر الفني ،بمعناه العالي ، و هي عالم شديد التعقيد متناهي التركيب متداخل الأصول و قد عرفت الرواية مجموعة من الاتجاهات في الأدب المعاصر منها .

الرواية التاريخية:

في الواقع توجد علاقة حميمة بين الرواية و التاريخ فالرواية و التاريخ تصور أحداث التاريخ إما بصورة مباشرة و إما بإيهام القارئ بأن ما حدث هو فعلا وقع يوم ما في زمن من التاريخ و أن الشخصيات المرسومة تمثل أشخاصا كانوا يحيون في يوم ما .

الرواية الاجتماعية:

يذهب " رولارن بارت " إلى أن الرواية عمل قابل للتكيف مع المجتمع أي مرآة عاكسة للمجتمع ، و بهذه الدعوة أصبحت الرواية أعمق مدلولا و أنفع كوظيفة اجتماعية و سياسية و ثقافية و أشهر كتابها " جون جاك روسو " و " بلزاك " و غيرهم .

الرواية الحربية:

هذا النوع فرضته الأوضاع التاريخية التي أدت إلى وقوع معظم الأقطار العربية تحت القبضة الاستعمارية و بعد نضال طويل تحقق الاستقلال فراح الكتاب العرب يكتبون الأعمال الرواية التي تخلد نضال الشعوب و من هذا ما كتب " عبد الرحمن مجيد الربيعي " في روايتي " القمر " و " الأسوار" و " عبدالحميد بن هدوقة " في روايته " الوشم " و " نجيب محفوظ " في رواية " زقاق المذق " [1] و غيرهم .

و الرواية باعتبارها جنس نثري حكائي متعلق بالسياقات الثقافية الشعبية – امتدادا لأصوله الكرنفالية – تعد من أكثر الفنون عمقا و أتساعا لأن معمارها الفني يشمل مختلف الأساليب التعبيرية القادرة على نسخ بنيتها من جميع الأجناس الأدبية كالشعر و القصة و الدراما المسرحية و يؤكد على هذا " باختين " بقوله : " إن الرواية تسمح بأن تدخل إلى كيانها جميع أنواع الأجناس التعبيرية سواء كانت أدبية (قصص ، أشعار .....) أو خارج أدبية (دراسات من السلوكات نصوص بلاغية و علمية و دينية " [2] لتمثل بذلك فعلا إستعلائيا و تشكل وظيفة مثلى للانفلات من كل المواصفات و المقاييس.

و تتمظهر كبنية متجاوزة لمعطيات الواقع و التاريخ و اللغة معا .

و ما يجعل الرواية تحتل مكانة هامة ضمن الأجناس الأدبية الأخرى هو حسن تنسيقها للحدث و توزيعها للشخصيات و تحكمها في الزمان و المكان لتعطي بذلك نسيجا متكامل الأطراف و هذه الإمكانات مجتمعة جعلتها تتميز بالتطور المستمر كما منحتها القدرة على امتلاك آليات التعبير عن مشاغل العصر " و لعل إنتشار مقروئيتها (...) يعود كذلك إلى تفردها بصياغة مضامين موضوعاتية لم يعد بوسع الشعر صياغتها و فق النمط الجديد الذي جعلت تتخذه الرواية و تتفرد به عبر مسارات تطورها الفني " [3].

---

[1] د. محمود السمرة: في النقد الأدبي مكتبة الجامعة الأردنية

[2] ليندة خراب: تناص التراث الشعبي في الرواية العربية الجزائرية (الجازية والدراويش، الحوات والقصر، نوار اللوز) نموذجا مقدم لنيل شهادة الماجستير في الأدب العربي الحديث معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة (الإخوة منتوري) 1998-19999 م، ص-98

[3] فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية - دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة – جامعة المسيلة، عالم الكتب الحديث أربد – الأردن – 2010 م – ص1.

فعلى الرغم إذن من اشتراك الرواية مع الأجناس الأدبية الأخرى في مجموعة من الخصائص إلا أن لديها بعض المميزات الخاصة التي تنفرد بها عن باقي الأنماط الأدبية الأخرى و التي يمكن حصرها في أربع سمات أساسية و هي كالآتي : "

1 – إنها شكل أدبي سردي يحكيه راو، و بهذا تختلف عن المسرحية التي تحكى قصتها من خلال أقوال و أفعال شخصياتها .

2 – كما أنها أطول من القصة القصيرة و تغطي فترة زمنية أطول و تضم عددا من الشخصيات أكثر .

3 – بالإضافة إلى أنها تكتب بلغة نثرية .

4 – و الأهم من ذلك أنها عمل قوامه الخيال، و بذلك تختلف عن التأريخ و السيرة الذاتية الذين يحكيان عن أحداث و أشخاص حقيقية .

و قد يبني بعض الروائيين أعمالهم على أحداث أو حياة لأشخاص حقيقيين ، لكن إبداعهم يكمن في ايراد أحداث أو شخصيات لا تمت إلى الحقيقة بصلة . و لهذا فالرواية جزئيا – إن لم يكن كليا – ممن نسج خيال المؤلف [1]".

و نجد فن الرواية فضاء تنعكس فيه جل الصراعات الاجتماعية السياسية و الاقتصادية فالرواية قطعة من الحياة بتناقضاتها و متطلباتها و مشموليتها الطبيعية و الفكرية و لهذا فالرواية عملت على مر تاريخها على تصوير المجتمع و التعبير عن ضمير الإنسان و تطلعاته و مصيره و استيعاب التاريخ و التنبؤ بمغاليق المستقبل هذا ما جعل صفحاتها مفتوحة لاستيعاب مجمل القضايا الواقعية الراهنة و تجسيد الملابسات الاجتماعية بكافة حيثياتها حتى و إن كانت سياقات اجتماعية متناقضة و من خلال هذا : " فإن الخطاب الروائي يجسد وعيا فكريا معينا و إن طبيعة هذا الوعي هي في الأساس نتاج للتفاعلات الاجتماعية و الواقعية القائمة "[2]

[1] الموسوعة العربية العالمية الالكترونية (1425 هـ /2004 م)

[2] فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة – جامعة المسيلة عالم الكتب الحديث أربد – الأردن – 2010 ص56.

فالفضاء الواسع للرواية خلق للمبدعين خيالا معاش بواسطة اللغة ليتفاعل بها مع العالم الخارجي فالروائي يجعل من الشخصيات الروائية تعيش عالما اجتماعيا ضمن هذا العالم التخيلي . و بما أن الكتاب العرب في بحث دائم عن عوالم أدبية تعج بالحياة و الرؤى و الفكر فقد احتلت الرواية بالنسبة لهم الصدارة فكانت الرواية المغاربية عامة و الجزائرية خاصة الفن الرائد و الأكثر تطورا في هذه الفترة المعاصرة فهذا الفن خلق الروائيين الجزائريين آفاق جديدة للتحليق فيها محاولين إضافة لمسات جديدة مع كل خطوة لإنعاش و بث الروح في الأثر الفني كبنية لغوية حيث يحرص الروائي الجزائري باستمرار على تطوير الأدوات الفنية للرواية لذلك نجدها قد أبدت إمكانات هائلة للتنوع فكانت " ككل رواية هي نوع أدبي في ذاتها و أن قيمتها الجمالية و التعبيرية تكمن في تفردها و خصوصيتها و تنوع أساليبها " [1] و إذا تعمقنا في الرواية الجزائرية المكتوبة بالغة الوطنية نجد أن أغلب الدارسين لم يأرخوا لبدايتها إلا بأوائل السبعينات " و من أسباب تأخر الرواية إلى هذا التاريخ صعوبة تناول هذا الفن لاحتياجه أكثر من إي فن آخر غلى الصبر و الأناة و التأمل الطويل و انعدام تقاليد روائية جزائرية يمكن محاكاتها واحتياج فن الرواية لإلى الرواية إلى لغة مرنة قادرة على تصوير بيئة كاملة و هذا ما افتقده كتابنا قبل السبعينيات "[2]

رغم أنهم سجلوا لها إرهاصات أولية و لكنها تمثلت في محاولات محدودة قام بها بعض الأدباء الجزائريين لكن لم يكتب لها أن تسترسل و تتطور لتكتسب صورة روائية مكتملة كأنما كان محتما عليها أن تمر بطريق حتى تتمكن من " تطويع القلم و ترويض الخيال على استيعاب الوقائع و القدرة على الطرح التي تؤهل ، الكاتب حين يقتحم عمل روائي أن يقتحمه و أسباب التوفيق وافرة لديه "[3] .

و من بين هذه المحاولات لدينا رواية " غادة أم القرى " للروائي " أحمد رضا حوحو" التي نشرت عام 1947 بتونس و قد عالجت وضع المرأة و المشكلات التربوية في البيئة الحجازية تواصلا مع الحياة العربية الإسلامية في الجزائر كما ألف " عبد المجيد الشافعي " في الفترة نفسها روايته " الطالب المنكوب " التي تحدث فيها عن حياة طالب جزائري أحب فتاة تونسية من أجل توكيد العلاقات العربية الراسخة .

و هذا و نجد أن الرواية الجزائرية في هذه الفترة بخاصة في مطلع الخمسينيات قد هيمنت عليها اللغة الواحدة و تحديدا اللغة الفرنسية فكانت الرواية المكتوبة باللغة الفرنسية بقيت محتفظة بالأسبقية في ولوج العالمية و يعود ذلك إلى

---

[1] ليندة خراب: تناص التراث الشعبي في الرواية العربية الجزائرية ص 99.
[2] محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 م، ص138.
[3] عشراني سليمان: معركة التعريب في الأدب الجزائري من متطلبات درجة الماجستير في آداب اللغة العربية جامعة بغداد 1983.

عوامل تاريخية و ثقافية " على الرغم من توثيق رواياتهم بالأوضاع التاريخية و قضايا النضال الوطني عند أأبرزهم أمثال " محمد ذيب ، مالك حداد ، كاتب ياسين ، مولود فرعون ، ..... ". [1]

إلا أنها تبقى مكتوبة بلغة غير لغة الشعب اضافة إلى أنها تعكس نوعا من الانتماء القلق الحائر الباحث عن منسب أين تصدى الكاتب للتجربة و احتمل مشاقها فجاءت الأعمال متفاوتة في القيمة و مع ذلك فهي " تشكل في مجموعها تهيئة أرضية لبناء روائي شامخ لا نشك إطلاقا أنه سيولد في ممستقبل قريب ". [2]

و لعل البداية الأكثر فنية و فكرية تجسدت في مطلع السبعينيات حيث لمس " ولادة خطاب روائي متميز نقل تجربة الكتابة في الجزائر بشكل فني و هي فترة حاسمة استطاع عبرها أن يتميز عن باقي الأجناس الأدبية " [3] محاولا بذلك مواكبة تحولات نوعية عرفها المجتمع الجزائري على مستوى البنية القاعدية و من ثمة تقاسمت النصوص الروائية هذا الانشغال و عبرة بلغتها عن ذلك التحول النوعي الذي عرفه المجتمع و تصدرتها الروايات التالية " ريح الجنوب " " لعبد الحيمد بن هدوقة عام 1971 التي تعتبر أول رواية بالمعنى الاصطلاحي و التي كان ممموضوعها مجمل التغيرات التي عرفتها الجزائر بعد الاستقلال كقضية الأقطاع الانتهازية و المجاهدين الذين كانوا ثابتين على الخط و قصد من وراء عنوان ريح الجنوب تلك الثورة التي كانت قائمة بقيادة بالإضافة إلى رواية "مالا تدروه الرياح" " لمحمد عرعار " عام 1975 و " طيور في الظهيرة " " لمرزاق بقطاش " 1976 و " حورية " " لإسماعيل غموقات " 19788 " و حب أو شرف " " للشريف شنتالية " 1978 ، و " قبل الزلزال " " لعلاوة بوجادي " 1979 ..... " . [4]

و لقد كان جيل السبعينيات بالرغم مما كان يقال من ضعف الرواية الجزائرية في بعض تجارب الجيل الذي أسس الأرضية للرواية كظاهرة و كجنس بفضل إيمانه بالإرادة الثقافية التي تجلت في ذلك الربط بين النضال الثقافي و النضال السياسي أن سلوكا كهذا استطاع أن يبلور تيارا ثقافيا إبداعيا في الجزائر .

و المناخ الذي أنتج جيل السبعينيات ليس هو مناخ الثمانينيات الذي لا يزال يصنع الحدث الثقافي الوطني و العرقي حتى الآن فكانت النصوص الروائية في هذه الفترة تتميز" بتعدية (....) اللغة و تقنيات المعالجة و تنوع طبيعة

---

[1] عبد الله أبو حنيف: الإبداع السردي الجزائري سحب الطباعة الشعبية للجيش 2007 ، ص5 .
[2] عشراني سليمان: معركة التعريب في الأدب الجزائري، ص/205
[3] محمد تحريشي: في الرواية والقصة والمسرح – قراءة في المكونات الفنية والجمالية والسردية عاصمة الثقافة العربية، ص 39.
[4] عبد الله أبو حنيف: الإبداع السردي الجزائري، ص31.

المواضيع المطروحة "[1] من أبرزها " نوار اللوز " 1983 " مصرع أحلام مريم الوديعة " 1984 و هي للروائي " واسيني الأعرج "

وقد كانت سيمات التجريب الروائي في فترة الثمانينيات و حتى تسعينيات القرن قد تميزت بتقنيات روائية جديدة حصرها النقاد الجزائريين فيما يلي :

- تكسير نسقية الزمان
- النهاية المفتوحة
- انفتاح الخطاب الروائي على مختلف النصوص " تراثية ، دينية ، أجنبية ..."
- تعددية اللغة و شاعريتها
- استخدام التراث الشعبي " خرافة ، حكاية شعبية ، أمثال و أغاني شعبية ....."
- تعددية البؤر لتعطي معاني متجددة وفق قراءات متعددة
- كسر توقع القارئ بالانتقال من موضوع إلى آخر

و لعل من أبرز الروائيين المتميزين في هاته الفترة نجد " واسيني الأعرج بروايتيه رمل الماية : فاجعة الليلة السابعة بعد الألف عام 1993 و روايته سيدة المقام عام 1995 وغيره من الروائيين أمثال أحلام مستغانمي ، رشيد بوجدرة ، الطاهر وطار ..... .

الظروف التي نشأت في ظلها الرواية الجزائرية:

رأينا أن الجزائر كانت تمتلكك تراثا أبيا واسعا غداة الاحتلال الفرنسي و إن فرنسا عندما دخلتها لم تجد الميدان الثقافي خاليا ، كما يدعي ذلك بعض المحتلين ، بل وجدت ثقافة عريقة و أدبا جزائريا يضرب بجذوره في أعماق الثقافة العربية الإسلامية .

[1] فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية، ص03.

بديهي أن هذا الأدب و تلك الثقافة كانا يتأثران بالظروف الاجتماعية و السياسية التي عاشتها البلاد منذ وجودها إلى يوم مجيء الاستعمار الفرنسي ، كما كان يخضعان في جميع مستوياتها قوة و ضعف لسنة التطور التاريخي فقد كانت اللغة العربية في ذلك الوقت تضطلع بدوها في التصدي لحالة الجمود التي إليها مرحلة عصور الانحطاط التي كانت تمر بها البلدان العربية الراسخة آنذاك تحت الاحتلال العثماني .

هذه الحالة كان لها الأثر البالغ في الثقافة الجزائرية و الأدب الجزائري عامة فاتسما بالجمود و الركود تبعا لذلك و ظلا يسبحان في التيار الكلاسيكي و الاتجاهات و الأساليب التقليدية ، فارتكز الأدب على فن الشعر بأساليبه القديمة و كانت الثقافة ذات طابع ديني محض ، و على هذا الأساس يمكننا تفسير الوضع الذي و جدت عليه الثقافة الجزائرية عند دخول فرنسا إلى الجزائر ظل الأدب الجزائري على هذا الوضع يقاوم و يناضل من أجل الخروج من بوتقة التخلف إلى أن جاء الاستعمار الفرنسي فزاد الوضع سوءا و تدهورا و الأدب تخلفا[1].

مع مرور الزمن و الجزائر أرضا و شعبا تئن أقدام المستعمر ، بدأت الصحف الفرنسية بالظهور على الصعيد الجزائري ، فتكونت نتيجة لذلك فئة الكتاب من قراء الفرنسية ما فئة تزداد و تتكاثر في حين كانت فئة الكتاب العربية و قرائها تتناقص و تتقلص و هكذا بدأت نتائج الخطة الاستعمارية في القضاء على اللغة العربية تظهر و تتجلى يوما بعد يوم فصار لقراء الفرنسية صلب عودهم و أصبح للغة الفرنسية نوع من السيطرة على البيئة الثقافية.

لم تكد تنتهي الحرب العالمية الأولى حتى بدأت بوادر حركة أدبية جديدة تظهر إلى الوجود حيث نشأ جيل من الكتاب لا يعرف اللغة العربية ، و لا يستطيع التعبير عن أفكاره و مشاعره إلا باللغة الفرنسية[2].

ظهر من جراء ذلك أدب جزائري جديد يتسم بصفات خاصة تميزت عن غيره من الآداب العربية الأخرى.

كان للظروف الاجتماعية و السياسية التي عاشها الشعب الجزائري تحت الاحتلال الفرنسي الدور الهام و الأثر العميق في وجودها ، فظهرت أشكال فنية و أدوات تعبيرية و أنواع أدبية مختلفة حددت صفاتها و مميزاتها قوة و ضعف تلك الظروف الموضوعية التي عاصرت حياة الشعب الجزائري و نشوء الحركة الأدبية عامة و تطورها[3].

---

[1] المركز الجزائري للإعلام والثقافة: الأدب الجزائري المعاصر وثيقة رقم 11 - ص06.
[2] أنور جندي: الفكر والثقافة المعاصرة، ص22.
[3] سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، ص/53، 54

يمكن إرجاع بداية الحركة الأدبية الجزائرية المعاصرة إلى فترة ما بين الحربين العالميتين ، هذه الفترة التي بدأ الشعب الجزائري خلالها ينهض من سباته العميق و ركوده الطويل ففي هذه الفترة بدأت النهضة الوطنية و السياسية كثيرة الحوار بين الإدارة الفرنسية و الشعب الجزائري [1] و هي الفترة التي بدأت سنة 1921 على وجه التقريب مع ثورة الأمير خالد ابن الأمير عبد القادر [2] هذه الثورات كانت بمنزلة الشرارة التي أيقظت الجماهير الشعبية و بعثت فيها رق الوعي الوطني و القومي و فكرة النضال من أجل الشخصية الجزائرية و الحفاظ على الكرامة الوطنية، و في هذه الفترة أيضا نشأت الأحزاب الوطنية و الهيئات السياسية التي كانت تطالب على اختلافها بمبدأ العدالة و المساواة و الحرية في تقرير المصير ، إلى جانب تلك الظروف الداخلية التي أدت إلى ميلاد الحركة الأدبية في الجزائر و تطويرها ، هناك ظروف أخرى خارجية تتمثل في الظروف الاجتماعية و السياسية التي كانت تسود العالم آنذاك ، و التي كان لها الأثر الكبير في بلورة الأفكار و تغيير أسلوب الكفاح و النضال على الصعيدين السياسي و الثقافي ، فكانت إحدى الحوافز في ولادة الأدب الجزائري الحديث عامة و المكتوب بالفرنسية خاصة ، فمن جهة وصل الاستعمار العالمي أوجه في هذه الفترة و كان لابد من ردة فعل من طرف المضطهدين و الكادحين تماشيا مع المبدأ القائم أن الأشياء تولد نقائصها و قد بدأت ردة الفعل هذه في صورة نظريات و أفكار تتلمس طريقها في الظلام شأنها في ذلك شأن النظريات الأيديولوجية و النظريات العلمية في بداية طريقها و قد ظهرت بوادر هذه النظريات في فرنسا نفسها وعلى أيدي رجال فرنسيين أنفسهم ، حيث تبلورت الأفكار الاشتراكية ، التي ناد بها المفكرون الفرنسيين أصبحوا يدافعون عن الوضعية الاجتماعية المتدهورة التي يعيشها الأهالي في الجزائر [3].

انتقلت مثل هذه الأفكار إلى بعض الجزائريين الذين كانوا يشعرون بالظلم و اضطهاد المستعمرين عامة و المعمرين المستوطنين خاصة ، فعبروا عن تلك الأفكار مستنكرين تلك الأوضاع السيئة التي كانوا يعيشونها مع شعبهم رافضين كل معالم الظلم و البؤس و العبودية منادين بجميع الحقوق الاجتماعية و السياسية و الإنسانية و كان ذلك عبر بعض الصحف المحلية التي سمحت السلطات الفرنسية بظهورها نتيجة أساسية لذيوع الأفكار الوطنية و استحالة كتب الآمال التي ولدتها الحرب العالمية الأولى في صدور الجزائريين [4].

---

[1] عائد أديب باميه: تطور الأدب القصصي الجزائري ، ص57.
[2] سعاد محمد خضر: مرجع سابق، ص26.
[3] عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص 23.
[4] المرجع نفسه: ص23.

و كانت وسيلتهم في التعبير عن تلك المطالب اللغة الفرنسية ، حتى يمكن منازلة النظام الاستعماري في ميدانه كما عبر عن ذلك الكاتب الجزائري " مولود معمري "[1].

و من جهة أخرى يمكن القول أن زيارة الأستاذ الإمام " محمد عبده " للجزائر سنة 1904 قد تركن في بعض النفوس أثارا بالغة استطاعت بعد أن كانت بذور تنبت و تعطي ثمارها على مر السنين [2]، و قد تجسدت هذه الثمار في إنشاء جمعية العلماء المسلمين سنة 1931 برئاسة الشيخ عبد الحميد بن باديس و الذي يعد بحق باعث النهضة الجزائرية و ظهرت كذلك على الصعيد الجزائري صحف و مجلات باللغة العربية الفصحى تحت إشراف جمعية العلماء المسلمين [3] فأسهمت في نشر الوعي و بث الروح الوطنية و القومية في صفوف الشعب الجزائري ، و قد حاولت الحكومة الفرنسية أن تعرقل هذه الصحف و أن تشل الحركة الإصلاحية ، بهدف القضاء على اللغة العربية التي بدأت تستعيد مجدها الضائع في الجزائر لكنها كانت محاولة بائسة فلم تفلح في تحقيق ذلك بل بقي رجال هذه الحركة يقاومون ، يكافحون من أجل بقاء اللغة العربية و الحفاظ عليها لأنها كانت ظمناتهم الوحيدة في الحفاظ على المقومات الوطنية و الشخصية الجزائرية العربية الإسلامية.

هكذا نلاحظ تضافر الأحداث و التطورات التي وقعت في أوائل القرن العشرين في كل من العالمين الشرقي الإسلامي و الغربي الأوروبي على بعث الحركة الأدبية الجزائرية المعاصرة ، و ساعدتها على النمو و التطور و اتخاذها الشكل و الصفات التي امتازت بها على غيرها من الحركات الأدبية المعاصرة في العالم العربي و إذا كانت اللغة الفرنسية وسيلة تعبير المثقفين بالفرنسية.

و اللغة العربية الفصحى وسيلة تعبير السواد الأعظم من الشعب الجزائري الذي كانت تعمه الأمية و الجهل ، إلا أنه رغم كل ذلك يمكننا القول أن هذه اللهجة هي التي قامت بالدور الأكبر و الفعال في توعية الشعب و بعث روح الحماس و الشجاعة في نفسه للنهوض في وجه العدو و مكافحته حتى النصر [4] السبب في ذلك يرجع إلى أن العامية لغة الشعب و لغة الجميع ، و هي الوسيلة التعبيرية الوحيدة التي لا يمكن للاستعمار مراقبتها ، و الإطلاع علة ما يجري و

---

[1] عبد العزيز شرف:المرجع السابق، ص32.
[2] المرجع نفسه ص24.
[3] علجية مرحوم: القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية، دراسة مقارنة 1935 – 1962 رسالة ماجستير في الآداب 1986 – 1987 جامعة دمشق 1986 – 1987 ص 72.
[4] المرجع نفسه: ص 73.

يجرى بواسطتها لأن ما يقال بها " كان يتواتر من الأفواه إلى الإسماع دون أن يودع قالبا مكتوبا قط ....، ثانيا لأنه يقال بالعربية و البربرية – و هما اللغتان – اللتان يزدريهما المحتل ازدراء لا يعني معه بأن يتعلمها "[1].

أما حظ اللغة الفرنسية، في الوعي بين صفوف أفراد الشعب الجزائري فقد كان محدود جدا، ولا يتعدى الفئة المتثقفة بهذه اللغة و قد كانت ضئيلة إذ ما قيست إلى مجموع السكان الجزائريين آنذاك ، و إذا تعدى هذا الوعي إلى السواد العام من الشعب فلا يكون ذلك إلا على فترة من الزمن ، أن لا يتم ذلك إلا بعد الإطلاع أولا على الأفكار و النظريات ثم ترجمتها بعد ذلك إلى الأميين من الشعب، و ربما كان حظ العربية الفصحى أى بكثير من حظ اللغة الفرنسية في هذا المجال لأنها كانت قبل كل شيء لغة المجتمع الجزائري ، أما اللغة الفرنسية في لغة الإستعمار و لغة الدخيل الأجنبي و لم يكن يعرفها سوى عدد ضئيل من الذين تمكنوا من الدخول إلى المدارس الفرنسية في الجزائر [2] و لذلك يلاحظ بعض الدارسين أن الجمهور الذي كانت تصله الجرائد و الصحف و المؤلفات العربية في الجزائر ، كان في الواقع أكبر بكثير من جمهور القراء إذ كان يمتد إلى الشعب الجزائري كله ، و كان أولئك الذين يعرفون القراءة يشرحون الأمور لمن لا يعرفون ، مكان الناس جميعا في نهاية الأمر ينتهون لا إلى المشاركة في تلقي الأخبار فحسب بل في إستيعاب المذاهب الفكرية و السياسية كذلك[3].

إلا أنه رغم هذه الميزة التي تحلت بها اللغة العربية الفصحى ، و رغم هذا الحظ الذي أكتسبته من شعبها ، هناك أسباب قاهرة فرضتها عليها ظروف الاستعمار الفرنسي و التي سنتطرق إليها فيما بعد – جعلت معظم الكتاب الجزائريين بهذه اللغة يعتمدون في كتابتهم و مؤلفاتهم عل الأشكال الأدبية التقليدية عموما ، كالشعر و المقالة و القصة القصيرة.

و هذه الأنواع رغم ما تتصف به من قدرة التعبير لا تستطيع أن تقترب أكثر من الواقع المعايش و تنقله بطريقة تسجيلية و فنية مثلما تفعل الرواية هذا الفن الذي يعد فنا أدبيا جديدا في مجال الأدب العربي عامة لذا انتقل إليه بواسطة الترجمة و الاقتباس عن الروايات الغربية ، و أما في مجال الأدب الجزائري فقد تم الاحتكاك بالروايات الغربية و بالثقافة الغربية عامة بطريقة مباشرة و عن طريق مطالعة الأصل .

أهم أعلام الرواية الجزائرية :

[1] عبد العزيز شرف: المرجع السابق ص 37.
[2] علجية مرحوم: المرجع السابق، ص 74.
[3] عبد العزيز شرف: المرجع السابق، ص 32.

حين نذكر الرواية الجزائرية يخطر على الذهن أسماء كثيرة نذكر منها :

- **مولود فرعون**[1]: و من مؤلفاته الروائية " إبن الفقير " ، " الأرض و الدم " الدروب الوعرة "

- **محمد ديب**[2]: و من مؤلفاته الروائية نذكر "البيت الكبير " ، " الحريق " ، النسيج "

- **مولود معمري**[3]: لديه رواية " الأفيون و العصا " ، الهضبة المنسية "

- **كاتب ياسين**[4]: " المرآة المتوحشة " ،، " مسحوق الذكاء "

- **مالك حداد**[5]: ولديه رواية " الإنطباع الأخير " و رواية "رصيف الأزهار غدا لا يجيب "

- **آسيا جبار**[6]: و لديها رواية " العطش" ، " المتلهفون" و رواية "أطفال العالم الجديد "

و كذلك واسيني الأعرج ، عبدالحميد بن هدوقة "نجمة " الطاهر وطار و لديه روايات عديدة نذكر منها " الزلازل "، " الولي الطاهر يعود مقامه الزكي " ، " الولي الطاهر يرفع يديه بالدعاء "، " اللاز " كما أن لعبد الحميد بن هدوقة رواية أخرى " نهاية أمس " وهته الأخيرة هي التي بصدد دراستنا فيها .

3- أسباب تأخر ظهور الرواية الجزائرية :

أن الظروف التي عاشها المجتمع الجزائري ، لم تكن تسمح بولادة و نمو جنس الرواية و لم يكن باستطاعة الأدباء أن ينجوا أو يبدعوا أدبا باعتبار أن الكتابة فن لا يزدهر إلا في ظل الحرية و الانفتاح [7] و سنقف عند بعض المعوقات التي أدت إلى تأخر الرواية الجزائرية إلى أواخر الستينات :

أولها :

---

(1) علجية مرحوم: المرجع السابق، ص/93،95
(2) المرجع نفسه: ص97.
(3) المرجع نفسه: ص 101.
(4) المرجع نفسه: ص 104- 106.
(5) المرجع نفسه: ص 107- 109.
(6) المرجع نفسه: ص ص 110- 111- 112.
(7) بوذيبة ادريس: الرؤية والبنية في الروايات الطاهر وطار، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب الجزائري. جامعة قسنطينة 1995-1996 م

مرتبط بالاستعمار الفرنسي ، الذي عمل بكرم يملكه من إمكانيات على طمس معالم الشخصية الجزائرية بالقضاء على مقوماتها الأساسية المتمثلة حقوقهم و التعليم و لم يحظى به سوى أبناء القوم من أنصار فرنسا ، و فرضت عليهم اللغة الفرنسية قصد زعزعت الأركان الثقافية للشعب الجزائري حرصا منها " من فرنسا " على إبقاء هذا الأخير تحت ثبرها و ضرب كل محل ما بإمكانه الإسهام في توعية الجماهير نظرا لهذا لهذه الظروف الصعبة التي عرفتها الجزائر في المرحلة الاستعمارية ، لم تعرف الحركة الأدبية أي جديدا ، اختنقت مواهب الشباب في صدورهم بل حتى صرخاتهم في وجه ممن سلبوهم حريتهم ، لم تجد لها صدى إلا في قمم الجبال .

لكن هذا الحصار الذي فرض على الجزائريين آنذاك لم يدم طويلا بل لم يمنع من وجود بوادر تبشر بالخير تمثلت في الرجوع التدريجي للغة العربية ،إلى وضعها الأصلي ، على يد الحركة الإصلاحية السلفية ، التي عملت جاهدة على حماية اللغة العربية من الزوال أمام زحف اللغة الفرنسية ،إضافة إلى تلك الإنتفاضات من حين إلى آخر ، و التي ساهمت و لو بقدر طفيف في خلق المناخ الصحي لتطور ثقافة وطنية ثورية[1] مهدت أرضية لبذور الفن القصصي و الروائي في الجزائر .

ثانيتها :

يعود حسب عبد الله الركيبي إلى تأخر النهضة الفكرية و الثقافية في الجزائر[2] و نرجع هذا التأخر بالدرجة الأولى إلى السياسة الاستعمارية النكراء ، التي جمعت الأذهان ، فأصبح الشغل الشاغل للمواطن الجزائري الدفاع عن نفسه ووطنه .

أن عن احتكاك الجزائر بالغرب ، فقد كان أساسه قبل احتلال التجارة والمعاملات الرسمية و لم تسمح الجزائر بأي شكل من الأشكال للاستفادة من نهضته الفكرية و الحضرية ، أن بحلول فرنسا في الجزائر تكونت لدى الفرد الجزائري فكرة سلبية على الغرب ، مما جعله يتجنب أي إتصال مع ثقافته و تياراته ، فطيلة " الحكم الاستعماري حتى الحرب العالمية الثانية ، لم يحس الجزائريون باحتياج إلى الثقافة الغربية ، بل لم يظهر من رجال الفكر و الأدب من يدعوا إلى الاستفادة من الأدب الغربي ، و الذين فعلوا ذلك اقتصرت دعوتهم على الأخذ بمظاهر التقدم الحضاري و العلمي و ألحوا على الأفكار الليبرالية التي تأثروا فيها الثورة الفرنسية [1] و ما يؤكد هذا الانفصال عدم وجود كتاب و أدباء بارزون آنذاك ، قد أسهم هذا الإنقطاع عن الغرب في إعاقة حركة الترجمة ، و التي بإمكانها أن تلعب دورا هاما في نهضة الحركة الأدبية في الجزائر

---

[1] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 م .

[2] عبد الله الركيبي: تطور النثر الجزائري الحديث 1830-1974 م المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983 م.

[1] عبد الله الركيبي: المرجع السابق، ص 166.

بوجه عام ، و ظهور في الرواية بوجه خاص ، إلى أن ظهرت اليقظة الفكرية عقب الحرب العالمية الثالثة و مأساة 08 ماي 1945 م[2].

ثالثها :

سيطرة النظرة التقليدية للأدب ، وفق هذه النظرية كان يفهم من الشعر و فقط ، فالأدب كان الأدب : و الشعر و دراسته و قد ظلت هذه النظرية مهيمنة حتى و بعد الحرب العالمية الثانية ، و ظهور محاولات قصصية على قدر كبير من النضج لم يحل دون استمرارها ، فكل الصحف التي كان لها حظ الظهور في هذه الفترة إهتمت بالشعر ، فهذه " البصائر " التي تصدرها جمعية العلماء المسلمين كانت في بدايتها الأولى تخصص بابا لتشرفيه إلا الشعر ، تحت العنوان " الأدب الجزائري " و كان الشعراء أوفر حظا من القصاصية في المشاركة في المسابقات " فالشعر هو الشعراء هم الأدباء[3].

فالصرع السياسي فرض نوعا من السرعة في ردود الأفعال و العجلة في إيجاد الحلول ، مما جعل القصيدة الشعرية و الأقصوصة من أهم الأدوات و أنجحها لأنهما يعبران عن " اللمحة العابرة " و التجربة المحددة و لكون الثورة المسلحة نتيجة من نتائج هذا الصراع الخطير و لسرعة أحداثها لم يجد الأدباء وسيلة تبليغ أسرع و أسهل من الملاحم الشعرية و الأقصوصة[4] ، مما حال دون ظهور الرواية لما تتطلبه من ثقافة واسعة و نظرة شاملة و معناه عميق ، و فترة ملائمة لإعادة تركيب الأحداث ، و اختصار الأفكار .

رابعها :

إن الإمكانيات الكبيرة التي تتطلبها الرواية و خاصة من الناحية الزمنية حالت دون ظهورها في سنوات الكفاح المسلح الذي استولى على اهتمام كل فرد جزائري ، ونظرا للتركيز الشديد الذي يتطلبه هذا الجنس الأدبي و أمام اضطراب النفسيات بعد استقرار الأوضاع و انشغال الأدباء بالحركة الإصلاحية ، لم يكن متسع من الوقت لكتابة الرواية ، و حتى و إن كتبت فلن تجد حتما جمهورا متذوقا واعيا لهذا الفن خاصة و أن نسبة الأمية آنذاك قد بلغت الذروة[1].

خامسها :

---

[2] المرجع نفسه: ص 171.

[3] ابراهيم عباس: اتجاهات القصة الجزائرية القصيرة بعد الإستقلال 1962-1980 بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب الجزائري جامعة القاهرة 1986-1987 ص 16.

[4] محمد مصايف: الرواية العربية الجزائرية الحديثة بين الواقعية والإلتزام، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع 1983 م ص8-7 .

أن غياب النقد الأدبي و ضعفه و عدم وجود الناقد الموجه أدى إلى إهمال العنصر الفني الجمالي في كتاباتهم و اتجهوا إلى النقل الحرفي و الأمين و الوصف المباشر و السطحي ، فأهملوا عنصرا هاما من عناصر العمل الأدبي الجديد ، ألا و هو عنصر" الخيال الخصب " و ابتعدوا لذلك عن المفهوم الحقيقي للأدب باعتباره صورة مطابقة للواقع و أحداثه دون إضافة أي جديد[2].

[1] عبد الله الركيبي: المرجع السابق ص165
[2] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

مدخل حول الواقعية:

الواقعية مذهب في الفن و الأدب يشير إلى محاولة الأديب أو الفنان تصوير الحياة كما هي عليه في الواقع و تكمن المهمة الرئيسية للفنان في نظر الفنان الواقعي، في وصف كل ما يلاحظه بحواسه ، بدقة و صدق شديدين، من غير إهمال لما هو قبيح أو مؤلم ومن غير المراح للمرزي كما أن الفنان في الفن الواقعي الاشتراكي لا يقتصر"على إيضاح الحقيقة فهو يؤكد أو يسعى إلى كفالة سيطرتها على الحياة [1]. فتصوير الحياة وإدراكها جماليا ، خاصية عامة للفن، و هذا ما أعطى في النهاية ، للواقعية الاشتراكية القدرة على إقتحام " علاقة الطابو " التي كانت قائمة بين الفن و بعض الظواهر الاجتماعية ، فلا توجد مواضيع ممنوعة و مواضيع غير ممنوعة ، فالكل قابل للطرح و النقاش، إذا كان لدى الأديب إحساس بالتاريخ طبعا، و قد مهدت الثورة الاشتراكية للأديب السبل كلها لإدراك جوهر ذلك . ووفرت له إمكانية خلق مثل هذا الفن المرتبط بالهم الجماهيري الأساسي، و " المبادئ الأساسية للواقعية الاشتراكية من العمومية بحيث توفر للفن نطاقا غير محدود لتجلي كل خصائصه كشكل محدود من نشاط الإنسان الروحي " [2] بدأت الواقعية – حركة واضحة المعالم في الفن– في القرن الثامن عشر– و بحلول منتصف القرن التاسع عشر أصبحت هي الشكل الفني السائد . و لقد كانت الواقعية ثورة على حتى التقليدية الكلاسيكية والعاطفية الرومانسية، أو هما حركتان فنيتان عالجت أعمالهما أمور الحياة بأساليب مثالية ، حيث تظهر أعمال التقليديين الكلاسيكيين الحياة على أنها أكثر إثارة من الناحية العاطفية، و أكثر بعثا على الشعور بالطمأنينة مما هي عليه في الحياة الواقعية أصلا .

يبذل الواقعيون قصارى جهدهم لكي يكونوا موضوعيين إلى أقصى درجة ممكنة ، غير أنهم في محاولتهم انتقاء موضوعاتهم و تقديمها لا يتمكنون من تجنب التأثير بما يشعرون به أو يفكرون .

و بهذا فإن أعمق أنماط الواقعية لديهم يأتي نتيجة المراقبة والحكم الشخصي.

القصة الواقعية. جاء الفن القصصي الواقعي ثورة على عاطفية و ميلودراما المثالية الرومانسية .

فالشخصيات في الفن القصصي الواقعي أكثر تعقيدا من شخصيات القصص العاطفية " الرومانسية "، و مسرح الأحداث فيه يتسم بالهدوء وعدم التركيز على الحبكة وغموض الموضوعات.

---

[1] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر (ص/477) المؤسسة الوطنية للكتاب 1986 ص 477

[2] المرجع نفسه: ص477

و يعالج الفن القصصي الواقعية في معظمه حوادث عادية ممكنة الوقوع، كما أنه يرسم شخصيات قابلة للتصديق . و تقدم معظم القصص الواقعية موضوعات متشائمة لا تدعو إلى البهجة ، بل قد تثير الاشمئزاز. و هذه السمة القائمة تنطبق بشكل أساسي على الطبيعة، و هي حركة تطورت عن الواقعية.

و يعزى ازدياد رواج الواقعية باعتبارها أسلوبا ، لا إلى كونها مجرد رد فعل على المعالم الجميلة للفن القصصي العاطفي (الرومانسي) فقط ، بل يعود أساسا لعاملين: الأول هو تطور العلم الحديث ، بتأكيده على كتابة التقارير العلمية المفصلة .

أما العامل الثاني فهو الرغبة الجامحة لدى الكتاب والقراء، لفهم المشاكل الاجتماعية من متطور أكثر واقعية.[1]

الواقعية الاشتراكية في الأدب الغربي :

لما كنا نقصد بالواقعية المذهب الأدبي الذي يسمى بهذا الاسم، فقد وجب أن نقصر القول على ظهوره في القرن التاسع عشر، وفي هذا القرن لم يكن لهذا المذهب أسس نظرية واعية، بل كان اتجاها عاما، يشمل كثيرا من نواحي النشاط الروحي (V). فقد بدأ في الرسم وانتقل إلى الأدب. فالرسام " كروبيه" " 1819 -1877 م" الفرنسي أول من تأثر باتجاه العصر في الفن، ودعا إلى الواقعية في الرسم، وأن على الرسام أن يسجل إحساساته نتيجة لنظره في أمور مجتمعه، ثم نقل الدعوة إلى الدب " شافلوري " " 1821- 1889 م" صديق الرسام، وكتب مجموعة مقالات عنوانها " الواقعية " 1857م، لكن " اميل زولا " " 1840 - 1902 م" الفرنسي هو الذي بلغ بالدعوة إلى الواقعية قمتها..متأثرا بكتاب " الطب التجريبي" " لكلاود برنار" " 1813 – 1878 م" وفرق " زولا " بين الملاحظة والتجربة..وزاد مبدأ آخر على مبادئ الواقعية، فميزها على الطبيعة. وهذا المبدأ هو ضرورة اتهاء الكاتب في قصصه إلى نتائج تؤديها العلوم فيما توصلت إليه..وقد ألف إحدى وثلاثين قصة طويلة، وانتهى في قصصه إلى نتائج، كان قد وصل إليها علم الوراثة لعصره، ومع ذلك فقد رأى أن هذا لا يمكن دائما في التجارب الأدبي ة، لأن الظواهر الإنسانية من التعقيد بحيث لم يتوصل العلم بعد إلى كشف أسرارها. ولاشك من خطورة هذه المواقف التي قد تذهب بجمال البناء الفني.

ولكن هناك على الأقل ثلاثة اتجاهات رئيسية في المدرسة الواقعية وهي:

[1] الموسوعة العربية العالمية الالكترونية (1425 هـ، 2004 م)

أ/ الواقعية الإنتقادية:

و " فلوبير دوكينز " " 1812 - 1870م" الإنجليزي و " تولستي " " 1828 – 1910 م" القصصي الروسي، و " دوستويفسكي" " 1821 – 1881 م" الروائي الروسي، و" كافكا"، ابسن" " 1828 – 1906 م" الرويجي، وربما أيضا " وليم فوكنر" " 1897 – 1962 م" الأمريكي، و" بيتشارد رايت " الزنجي المركي، و " أرنست همنقواي" " 1898 – 1961 م" الأمريكي واقعيون انتقاديون في جزء كبير من إنتاجهم، وأدباء هذا الاتجاه يقفون جميعا موقفا انتقاديا إزاء المجتمع بحالته الراهنة.

ب/ الواقعية الطبيعية:

وهي شكل حاد جدا من أشكال الواقعية، يلتصق بالمادي والملموس التصاقا مبالغا فيه، ويجري الدكتور " أحمد أبو حاقة" أنها ردة فعل على تغلب مذهب " الفن للفن" من مضمون الحياة والمجتمع، فقد عمل الواقعيون الطبيعيون على توثيق صلة الأدب بالحياة فراحوا يصورون الواقع الاجتماعي، بمختلف أبعاده..واستعانوا.

ج/ الواقعية الجديدة " الاشتراكية":

وضع " مكسيم غوكي" " 1868 – 1936 م" مصطلح " الواقعية الاشتراكية " لتمييز هذا الاتجاه الأدبي عن الاتجاهات الواقعية الأخرى، ولا سيما " الواقعية الانتقادية "ن و" الطبيعية"، و " الواقعية الاشتراكية" حصيلة النظر ة الماركسية إلى الفن والأدب، كما هي حصيلة التجربة الأدبية المعاصرة لكتاب الإتحاد السوفياتي، والبلدان الاشتراكية الأخرى.

والموقف المشترك لهؤلاء الكتاب هو: " الالتزام بأهداف الطبقة العاملة والنضال في سبيل تحقيق الاشتراكية".

ويمثل هذه الواقعية الاشتراكية " مايا كوفسكي" " 1893 – 1930 م" الذي دعا إلى التزام الشاعر برسالة اجتماعية ..وأن يكون وعيه مرآة للمجتمع وما يشغله من أمور عامة.

وابرز ملا يلاحظ في أدب الواقعية الاشتراكية منذ مطلع القرن حتى اليوم، وبخاصة في الإتحاد السوفيتي، التأكيد المستمر على النزعة الإنسانية ابتداءا بـ " مكسيم نحوركي" وانتماء بنقاد معاصرين مثل: " يوري بورييف" و أشعار " خمزانوف" و " مایاكوفسكي"، وقصص " " شولوخوف" " 1905 -....".و " أساييف" افضل أمثلة على هذه النزعة،

ربما كان " بروتول برخت" " 1889 – 1956 م" المسرحي الألماني أوضح من عبر عن وظيفة الفن الاشتراكي الصعبة، وكذلك أقدر من وضعها موضع التطبيق، كما أن هذه الواقعية تلتزم " نظرة مستقبلية" تقضي بتصور ميلاد الغد من اليوم بكل ما يصعب ذلك من قضايا ومشكلات معتمدين على إيمانهم بقدرة الإنسان غير المحدودة...ولكنها لا تسمح للأديب بأن يهرب من الواقع كما فعل الرمانطيقيون. وفي رأيهم أن المجتمع لم يوجد من أجل الفنان، وإنما وجد الفنان من أجل المجتمع، ويصور المفكر المنغازي الكبير " جورج لوكاتش" على دينامية الواقعية الاشتراكية، وقدرتها على الكشف، وعلى تقديمتها المتجددة، ويمدح الناقد " كريجا نوفوسكي" أشكال النزعة الإنسانية في الأدب السوفياتي ويصفها بأه زادت قيمة الإنسان..

وكتاب الواقعية الاشتراكية يدينون ميوعة الأدب الحديث في المجتمعات الرأسمالية، ويهاجمون الواقعية الانتقادية لأنها تتظاهر بتحليل المجتمع الغربي، ولكنها لا تفضح البرجوازية. كما يتجلى ذلك في عالم " كبلنغ" " 1865 – 1936 م" الشاعر الإنجليزي، و" سمرست موم وهسلين" " 1894 – 1963" الإنجليزي، و "واندريه جيد" " 1869 – 1901 م"، و " البيركامي" " 1913 – 1960 م" الفرنسيين، و" يوجين أونيل" " 1888 – 1953 م" المسرحي المريكي.

ومقابل إذانة هؤلاء وأمثالهم يبدي الواقعيون الاشتراكيون اهتماما بنتاج أدباء ذوي مسحة تقدمية مثل " هنريك مان، وجورج برنارد شو " " 1856 -1950 م" المسرحي البريطاي و "توماس مان " " 1875 – 1955 م" الألماني، و " لويس أراغون" " 1897 - ...."، و " أرنست همنغواي"، كما يقفون موقفا سلبيا من الأدب الوجودي، ويتهمونه بتقديم حلول لا إنسانية لمشكلات الإنسان..[1]

إن الواقية الاشتراكية ظاهرة معقدة متعددة الجوانب و من الواضح أن يكمن عند جذور كل منهج مفهوم محدد للبشرية ، و مفهوم عن واقعية الواقع ، و عن موقف الفن من الواقع ، و مثل هذا جديد بشكل أساسيي في الواقعية الاشتراكية [2] كما أن نتولو خوف في خطابه الافتتاحي للمؤتمر الثاني لكتاب جمهورية روسيا الاشتراكية السوفيتية قد خال عن الواقعية الاشتراكية . " هي الفن الذي يصور حقيقة الحياة و قد أدركها الفنان و فسرها من زاوية الإخلاص لمبادئ اللينيني ، و بتعبير أكثر بساطة يبدو لي أن كل من يساعد الناس بصورة إيجابية على أن يبنوا

[1] د. نسيب نشاوي: المدارس الأدبيق في الشعر العربي المعاصر " الاتباعية – الرومانسية – الواقعية- الرمزية" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984، ص ص 326 – 327-328-329-330.
[2] ترجمة الواقعية في الأدب والفن ص 12

عالما جديدا هو فنن واقعيي اشتراكي" [1] كما عرفه عند تسليمه جائزة نوبل سنة 1965م بأنها : " و ما زال البعض يقول أن الواقعية الاشتراكية ظاهرة خاصة معزولة ، و فرع مفصل من التطور الفني العالمي " [4]

كما قال أيضا " أنا أتحدث عن الواقعية التي تعبر عن فكرة تجدد الحياة ، عن إعادة صياغتها لصالح البشرية ، أتحدث عن الواقعية التي نسميها الآن بالواقعية الاشتراكية و سمتها الرئيسية نظرة للعالم ترفض مجرد تأمل الواقع

أو الإنس حاب منه ، و تدعو إلى النضال إلى تقسيم البشرية ، و تمكنها من تحقيق الأهداف العزيزة على قلوب الملايين و إضاءة النضال[2].

لغة دعت الاشتراكية إلى رفع و تهديم فكرة الفن للفن و أكدت على تصوير الحياة الاجتماعية و قد انتشرت عما هو معروف في روسيا نظرا للأوضاع التي تميزت بها روسيا و أوروبا من ظلم للطبقة العاملة " البروليتاريا " و قد كان النضال آنذاك محصورا في انتفاضات عمالية مطالبة بتحسين أوضاعها فكان النضال طويلا من أجل إرساء قواعدها أو مخاطبتهم مخاطبة مباشرة إلى أن أسلمت هذه الطبقة زمام السلطة و أرست الاشتراكية قواعدها فكان الأدب وسيلة من الوسائل التي تم عن طريقها نشر الواقعية الاشتراكية .

و قد نشأ هذا الفن على يد أنجلزوكارل ماركس ميكسبم غوركي و لنين و تهيأ المجال الخصب لتطبيقه بعد نجاح ثورة أكتوبر 1917 و انتصار النظام الاشتراكي و من شروح الكتاب السوفيات للواقعية الاشتراكية أنها ينبغي آلا تقتصر على شرح الحقائق الواقعية في العالم الجديد و إنما عليها فوق ذلك أن تصلح الناس و تثقفهم ثقافة اشتراكية[4].

الواقعية الاشتراكية تلتزم بمبادئ الماركسية و اللينينية و مفهومهما المادي للتاريخ " لذلك كان المضمون في العمل الأدبي لدى كتاب الواقعية الاشتراكية أهمية قصوى فهذا المضمن الاشتراكي هو ما يميزهم عن كتاب الواقعية الإنتقادية "[5].

---

[1] المرجع نفسه: ص 81
[4] المرجع نفسه: ص 225
[2] محمد مستجير مصطفى: المرجع السابق، ص 82
[4] المرجع نفسه، ص 20
[5] المرجع نفسه: ص 20

رغم هذا فإن الواقعية الاشتراكية لا تحول دون الرؤية الذاتية للواقع و للحياة ، فقد تلقت هجمات عنيفة من طرف الرومانسيين على اعتبار الواقعية الاشتراكية تخدم النظام و الأحزاب ، أو ما أسموه بالظهور الفني في الإنتاج الاشتراكي ، إلا أن هذا جند من خلال جميع الدراسات الجمالية للنقاد الاشتراكيين أين أوضحت ، و أكدت حرية الإبداع الفردي عكس ذلك منهم يضعون المجتمع نسب أعينهم و النظرة المستقبلية هي التي توحدهم و تجعل منهم كتاب يستلهمون شخصياتهم من الطبقة العاملة لا من الحزب أو النظام ، لا ننكر إنه في الفترة الستالينية وجدهن حصار على كتاب وانقسم إلى التزامين التزام بمبادئ الاشتراكية أو الالتزام بالأنظمة الرسمية ، الآ أن هذا قد انتهى بانتهاء المرحلة الستالينية[1].

وإن التمييز الذي ظهر في الواقعية الاشتراكية الواقعية عن غيرها من المذاهب الأدبية ، يوجد بالضرورة وجود أشكال فنية تكون جديدة جدة هذه المذاهب و قد تفاوتت مواقف الدارسين الماركسيين حول هذه القضية التي من خلالها تتحدد علاقة الشكل و المضمون ، ففي عام 1818 كتب الشاعر مایاكوفیسكي حول ضرورة التغيير في الكلمات و البحث عن الجديد بالكلمات الجديدة لحاجة هذا الشكل الأدبي إلى طريقة فنية جديدة [2]

لقد شهدت هذه المرحلة ظهور نوعا مما سمي بدعاة هدم الفن البروازيي " إذا كانوا يعتقدون أن الفن الجديد لا ي يمكن أن يقوم إلا على أنقاض الفن القديم تماما كما قام النظام الاشتراكي الجديد على أنقاض النظام الإقطاعي الرأسمالي القديم " و لقد كان لهذه القضية مواقف عديدة تمثلت في الرابط بين المضمون الاجتماعي الجديد و أم يشعبه من أشكال جديدة بالضرورة و يعد الناقد النمساوي رانست فيسر من المنظرين ، في هذا المجال فهو يرى أن تطور النظام الاشتراكي رفع تطور الإنسان البسيط إلى إنسان بارع قادرا على التمييز بين الأشياء بعمق مما أصبح أبناء الطبقة العاملة وبناتها يستمتعون والشكل وإنما ترجع في النهاية إلى التغييرات الاجتماعية و الاقتصادية ، و أن المضمون الجديد هو الذي يحدد الشكل الجديد ، أما الموقف الثاني فيتبناه الكاتب الفرنسي " روجيه غارودي" فهو يطالب بالنظر إلى الواقعية من خلال الأعمال الإبداعية لا من خارجها و كون الإنسان واقعا لا يعني بالضرورة نقله لصورة الواقع نقله مطابقة للأصل ، بل يجب تتبع خطوات المجتمع و تقدمه خطوة هو عمل فيلسوفي لا من فنان [3].

---

[1] محمد مستجير مصطفى: المرجع السابق ص 21.
[2] المرجع نفسه: ص 21
[3] المرجع نفسه: ص 22

خصائص الواقعية الاشتراكية عند الغربيين:

من بين الخصائص التي تميزت بها الواقعية الاشتراكية عند الغربيين

1 –توافر الملكة أو الموهبة الفنية أي تلك "الخاصية" التي تتيح للموهوب بل تجبره ولا تتيح له فحسب أن يعبر عن أفكاره ومشاعره بدرجة أو أخرى من الكمال بقناع وجمال، وصورة فنية ونحن نعرف أن النظام الاستقلالي القديم القائم على القهر الذي يصدق للملايين وعلى التناقض بين العمل اليدوي والعمل الفكري وعلى عدم المساواة بين الرجال والنساء. ومئات أخرى من مثل هذه التناقضات قد مر ملايين الموهوبين من الناس وخنقهم واستعبادهم ونعرف ونستطيع أن نرى في تطبيق ان انتصار الاشتراكية والتغلب على هذه التناقضات يكفلان بالفعل، وسيكفلان بدرجة أكبر، النمو العاصف للملايين من مختلف المواهب والملكات، وفضلا عن ذلك فإن أحدا لم يعد يخشى أو يجد نغمة أرستقراطية مثل: أستاذ موهوب أو مدير موهوب أو قائد موهوب ... الخ في الفن والأدب يشعر البعض بالجزع دون سبب على الإطلاق مثل هذه الأوصاف وكذا استعراض المرء الأدب لنقد الأخير ما نجد تعليقات جيدة وذكية ... عن الدور الكبير للنظرة إلى العالم وعن المنهج الفني، وعن مدرسة الأسلوب التي يمكن أن ينتمي إليها هذا العمل أو ذاك[1].

2 –اكتساب الخبرة والقدرات والمهارات الأدبية. فبعض نقادنا قد بلبلهم الشكليون تماما، فنحن ندرك أن الأساليب الفنية، وفن الكتابة وبناء عمل ما، وفي فن التفصيلات وغير ذلك من الأمور العامة. قد تحولت على أيدي الشكليين المتبذلين والشكليون غير المتبذلين هم نفس الشكليين المتبذلين وإنما يتزينون ببعض الأردية الاجتماعية الخفيفة ويتسترون بنقطتين عن سيرة هذا أو ذاك وثلاثة اقتباسات عن ماركس إلى أشياء لها وجودها المستقل منفصلة عن نظرة الفنان إلى العالم وإيديولوجيته لكن الماركسية اللينينية لم تنظر أبدا أوفي أي مكان إلى الإبداع الفني كالشيء مقدر من قبل (لا يحتاج إلا إلى أساس إيديولوجي صحيح) ولم تنكر أهمية الخبرة والمهارة وإتقان أسلوب الكتابة ومعرفة اللغة والقدرة على إعطاء العمل بنيانا محددا ...الخ[2]

3 –العمل يحدد نشاط و دأب : فلسبب غير معروف لا يعتبر بعض كتابنا و نقادنا الكتابة نوعا من العمل الإنساني : ومن الواضح أنهم يعتقدون أن النظرة الماركسية إلى العالم أو الموهبة تكفي لإنتاج أعمال جيدة و هذا الخطأ كبير قد يكون قاتلا بالنسبة لهم[3]

---

[1] محمد مستجير مصطفى: المرجع السابق ص ص 57- 58
[2] المرجع نفسه ص 58
[3] المرجع نفسه ص 58

4 -توافر المعرفة الشاملة و خاصة معرفة الوقائع و معرفة ما يكتب الإنسان عنه فبعض نقادنا قد ضللهم تماما أنصار " الجبهة اليسارية في الفن " و تحب نعرف أن هؤلاء جعلوا من الوقائع موضع للنقديين ، لكن المرء لا يمكن أن يولي أدنى شأن " مدرسية عاجزة لا تستطيع أن تدرس الوقائع من كل زواياها و أن تحدد مكانها في العملية التاريخية التي نضعها في علاقة مباشرة ، وغير مباشرة ببعضها البعض[4]

رواد الواقعية الاشتراكية الغربيين :

خلق تطور الفن الاشتراكي في البلاد الرأسمالية الأخرى في أوروبا أعلاما بارزة من أمثال :

نيرولا اونيزفال و أمادو و حكمت ، و أندرسون نيسكو و براتولين ، و جوتوزو و بيدستروب و فوتشيك و جويلين و أذع حيث رجال مثل بريخت و بيكر و إيلزروبوش الذي كانوا يمثلون الفن الإشتراكي في ألمانيا [1]. كما لا ننسى كثيرا من الأسماء الغربيين الاشتراكيين نذكر منهم: جوركي الذي كان و الذي هو مؤسس الواقعية الاشتراكية في الأدب لأنه استطاع في روايته " الأم " و مسرحيته "الأعداء " [2] ، و لا يجين بوتيه و بيبرديجيتر في نشيده " الأممية " و االأونورية دومييه في الاستكشاف الثورة[3] و حين وضع هينريك هايني الشاعر الألماني البارز " الأنشودة " عمال نسيج سيليزيا " قال إنجلز أن الشاعر قد " نظم إلى صفوفنا " و أن هايني في عديد من قصائده كان " يدعو إلى الاشتراكية " . و رأى ماركس في قصائد هيرفيج و فريليجرات براعم الفن الثوري ، الاشتراكي و قال إنجلز عن جورج ويرث " أنه أول و أهم شاعر للبروليتاريا الألمانية " ، كما و صف إنجلز رسما ألمانيا آخر و هو شارلزليسيج بأنه " تحول إلى الاشتراكية "[4]

الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي:

لم تحل السريالية مكانها للكتابة التقليدية مرة أخرى لقد دخلت مصر ، و العالم العربي كله ، في دوامة الصراع العالمي و لم يعد ممكنا أن يخرج منها ،و مع هذا الدوران المحموم حول المركز، كانت محاولات اكتشاف الذات المستمرة بطرق مختلفة ، فإذا كانت جماعة " الفن والحرية " قد علقت أمالها بالثورة العالمية و رأت في الفن الحر ، غير

---

[4] محمد مستجير مصطفى: المرجع السابق، ص 58
[1] المرجع نفسه ، ص 153.
[2] المرجع نفسه الصفحة نفسها
[3] المرجع نفسه الصفحة نفسها
[4] المرجع نفسه ص 152

المقيد بإيديولوجية ما طريقا موصلا إلى هذه الثورة ، فقد ساعدت الظروف ، العالمية مرة أخرى على سطوع نجم الستالينية و في ركابها المذهب الأدبي الذي أصبح مبدأ رسميا للدولة السوفياتية منذ سنة 1932 ، أعني " الواقعية الاشتراكية " أن المكان الذي أحفظت الستالينية و القوميات و الثقافات القومية جعل الواقعية الاشتراكية أكثر قبولا لدى المواطنين القوميين العرب .

فكل مذهب حداثي آخر كان يشي بمنيته الأوروبي و ينذر بمسح الطابع القومي و روح القومية ، و مازال بعض الباحثين العرب بعد " الواقعية الاشتراكية " قسما من الحداثة ، مع أن أكثر الأدباء في الإتحاد السوفياتي و الدول الاشتراكية كانوا يرونها نقيضين بل عدوين .

كان مفهوم الحداثة ، و لا يزال يتغير باستمرار و كانت مغامراتها في "الشكل " لا تنتهي إذا كانت عند التحليل الأخير محاولة مستحيلة للبحث عن معنى ، بعد أن فقدت الحياة معناها بغياب فكرة الله ، أما الواقعية الاشتراكية فقد كان لديها إيمانها البديل ، الإيمان بانتصار الطبقة العاملة في العالم كله و قيام المجتمع الاشتراكي أشكالها الفني المستقرة أو قل " كلاسيكيتها " أو النموذج الإنساني الجديد الذي اكتمل خلقا أو خلقا عندما تحررت البروليتاريا من سيطرة الطبقة الرأسمالية و هي في البلدان التي لم تحرر بعد من سيطرت رأسمال ملتزمة بتصوير واقعها بما فيها من إيجابيات و سلبيات ، فهي لا تختلف في هذا عن الواقعية النقدية التي ورثناها عن المجتمع البرجوازي[1]

و بما أن الواقعية الاشتراكية تستند إلى الماركسية و الماركسية مذهب شامل، تجمعه أوصاف ثلاثة: فهو مادي جدلي تاريخي : فمن هنا كانت الواقعية الاشتراكية مذهبا نقديا شاملا أيضا فالمضمون الطبقي هو الذ ي الأدب . المذهب الأدبي و يحدد قيمة الأدب و التطور التاريخي للمجتمعات الإنساني .

و جوهره التركيب الطبقي . قد استتبع تطورا مماثلا في المذاهب الأدبية ففي وقت من الأوقات كانت الطبقة الإقطاعية هي التي تهين على النظام الاجتماعي ، و لذلك كان المذهب الكلاسيكي بثباته و احترامه الشديد للقواعد هو المذهب الأدبي السائد ، ثم نشأت طبقة جديدة هي الطبقة البرجوازية ، طبقة التجار و الصناع ساكني المدن ، اتسمت في فترة صعودها بالمغامرة و سعة الخيال ، فكان المذهب الرومنسي تعبيرا صادقا عن طموحاتها و مثلها ، و كان بهذه المثابة أدبا تقديميا ، ثم لما تحولت إلى رأسمالية احتكارية فقدت روح المغامرة ، و استسلمت للأخيلة المريضة

[1] شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية والنقدية عند العرب والغربيين ص ص 23-24 .

،و هكذا تحولت الرومانسية إلى عاطفية نائعة، ثم لم تلبث أن أخلت مكانها لشتى التجارب الشكلية التي تجرد الحياة من معناها و قيمتها " و هذه هي التسمية الرئيسية للحداثة للمنظور الواقعية الاشتراكية "[1].

منذ أوائل الخمسينات ظهر جيل جديد من النقاد و كبوا عهد " الثورة " و كان انتمائهم الأصلي للحركة المركسية ، و بدا لهم أنه يستطيعون أن يدخلوا في نوع الشركة مع العهد الجديد ، يمدونه بالنظرية الثورية التي كان مفتقرا إليها ، و يستمدون منهم قدرا من السلطة يأملون من خلاله أن يتمكنوا من تحويل المجتمع نحو الاشتراكية .

في هذه الفترة بالذات كان الجو مناسب للواقعية الاشتراكية كي تحتل مكان الصدارة في النقد الأدبي ، و كان في استطاعة ناقد شاب أن يملي على كتاب المبدعين هذه الوصايا و الزدانوفية " فمن واجب الأديب الواقعي أن يكون ذا نظرة متكاملة إلى العالم الذي يحيا في داخله ، نظرة تعبر عن فهم مترابط لهذا الكون و أطواره و بشكل خاص ينبغي أن يتضح هذا جليا في فهمه لمجتمعه الخاص و تجاربه معه ، فالأديب في مصر مثلا ، لا يكفي أن يقتصر فهمه على القرية مثلا إذا كان قد نشأ في القرية ، أو على الحياة في القاهرة إذا كان أديبا قاهريا ، و إنما الواجب أن يكون ذا فهم ملم متكامل للمجتمع المصري كوحدة ، على بنية من القوى المختلفة التي تصارع في أحشائه " .

لا شك أن مثل هذا الرأي كان ينم عن تبسيط مسرف للواقعية الاشتراكية فإلزام القصاص أو شاعر أن يتسلح بوعي اجتماعي شامل حتى يكون قادرا على الكتابة الجيدة ، شرط يتجاهل اختلاف منابع الإبداع ، و اختلاف الخبرات بين كاتب و كاتب ، و ربما تساؤل قارئي هذا النص النقدي : ترى هل كان نجيب محفوظ ، مثلا يعرف الشيء الكثير عن الحياة في القرية ؟ و هل كان و هو يحصر نفسه داخل حدود قاهرته التي لم تتجاوز تقديرا عشر كيلومترات مربعة ، مع إلمامات لإلمامات المصيفية ، بالعاصمة الثانية مانعت له من أن يصبر ، بوضوح شديد التغيرات العميقة التي كان يمر بها المجتمع المصري ككل ؟ و سؤال آخر : ترى لو استمع نجيب لنصيحة الناقد الشاب ، ماذا كان يكون من أمره ؟

بالطبع لم يكن يخشى على نجيب محفوظ ، و لا كل الجيل الذي نضج فكره و أسلوبه قبل سطوع نجم الواقعية الاشتراكية لأول مرة و في العالم العربي كله كان ثمة شعور لدا شبان تلك الأيام بأن للأدب "رسالتها "نحو مجتمعه الذي تفتك به الأمراض جسما و روحا ، و قد أراد يحي حقي (1905م-1992م) أن يشعر الجيل الجديد من

[1] شكري محمد عياد: المرجع السابق، ص ص24-25

النقاد الذين تبنوا الواقعية الاشتراكية أن لهم تراثا في النقد الأدبي الاجتماعي نابعا من بيئتهم و مرتبطا بأعمال أدبية أبدعها الجيل السابق[1].

كما عرف الدكتور فؤاد مرعي الواقعية بأنها " طريقة فنية تفترض تطور الواقع تطويرا صادقا تاريخيا من خلال تطوره الثوري يهدف إلى تربية الكادحين تربية اشتراكية "[2].

الواقعية الاشتراكية ما هي إلا أثر من آثار ظلم النظام فهي أولا و قبل كل شيء تصور الطبقة العاملة خاصة فئة الشباب و قد حاولت هذه الطبقة المناهضة للنظام أن تخلق العدالة الاجتماعية و مبدأ الفرد للمجتمع لا المجتمع الفردي ، و بهذا قد تكون قد جمعت بين تصوير الحياة وتصويرا مجددا مترابطا تاريخيا و استاء طبقة شعبية ذات تربوية اشتراكية محضة تنبذ أشكال الرأسمالية و احتكارها .

و موقف " بوالأرواح " من الاشتراكية واضح ، فهو نابع أولا من طبقية ، فهذه التي تسمى " الثورة الزراعية " ما جاءت إلا لكي تأخذ من أملاكه ، و تنزله من طبقته المتميزة إلى طبقة بقية الشعب ، أو ترفع بقية الشعب إلى مستواه من ثم يتساوى جميع الاشتراكية بعد هذا ، في "رأي" عبد المجيد بوالأرواح " ليست نابعة من الواقع الجزائري لكنها قادمة و مستوردة من الخارج " السياطين " الملاعين ، يخطط لهم الروس بأدمغة إلكترونية ينقلون عنهم خططهم حرف بحرف.[3]

في الواقعية الاشتراكية : هي واقعية جديدة طغت عليها النظرة الماركسية إلى الفن الأدبي و ترى أن الأدب يجب أن يخدم هذه النظرة و يعبر عن الطبقة العاملة بالدفاع عن حقوقها و مصالحها .

الواقعية الاشتراكية أفرزتها ظروف تاريخية و اجتماعية معارضة للرومانسية و المثالية الطبيعية ، إن الواقعية الاشتراكية تعتمد على تحليل الواقع تحليلا دقيقا ثم نقبل ما يوافقها و تطرح ما عدا ذلك كما تؤمن الواقعية الاشتراكية أن الواقع يمكن تغييره لأن الإنسان مالك لمصيره لذا باستطاعته أن يستعمل هذه الظروف لصالحه في تغيير الواقع و من ثم تغيير نفسه.

---

[1] شكري محمد عياد: المرجع السابق ص 26- 27
[2] فؤاد مرعي: مدخل إلى الآداب الأوروبية ص 221 ص 12.
[3] مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية ص .34

رواد الواقعية الاشتراكية العرب:

إنه في النصف الثاني من القرن الحالي ارتفعت في البلدان العربية صيحات كثيرة تدعو الأدب إلى المشاركة في النضال والوقوف مع الشعب في معاركه، وتحث الأدبي على حمل خطه من المسؤولية الاجتماعية والوطنية والإنسانية، وتبشر بـ " الأدب للحياة" و " الدب الهادف" أو " الالتزام في الأدب " أو " الدب في سبيل الحياة" أو " الواقعية في الدب " ..وتنكر أن يكون " الدب للأدب " أو " الفن للفن" [1] وانهمر على إثر هذه الدعوة كتاب كثر مثلوا هذا الاتجاه من بينهم:

- حسين مروة والذي يعد من بين مؤسسي مدرسة النقد الواقعي الاشتراكي، وضع " دراسات نقدية في ضوء المنهج الواقعي"، أرخ فيها للأدب الواقعي، وذلك في معرض رده على الدكتور " لويس عوض" الذي اتهمه بأنه، أي " لويس عوض " وضع " الاشتراكية أو الدب الاشتراكي " وضعا حادا شاء أن يدعمه بمقاييس نظرية؛ تتنكر لكل حقيقة موضوعية وتحاول غزوا ثقافيا فكريا، وفنيا، وأدبيا يخدم مطامع أعدائنا...وفي " دراساته النقدية" ستة فصول خصصت لمناقشة الدكتور عوض في عملية إلقاء أضواء جديدة على قضايا الرومانسية والواقعية والعلاقة بينهما"[2].
- محمد مندور: لم يكن منظورا ماركسيا إذن، ولكنه كان اشتراكيا مثاليا، قد عايش الواقعية الاشتراكية منذ بداية الماركسية في مصر على إثر الحرب العالمية الثانية حتى وفاته سنة 1965 [3].
- نجيب محفوظ: وهو كان أيضا واقعي اشتراكي فهو الذي تقدم مجموعة أعماله أكمل شهادة على العصر من هذا الجيل، فلا يزال حتى اليوم يتنازعه الاشتراكيون الديمقراطيون والإسلاميون[4].

---

[1] د. نسيب نشاوي: المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر، ص ص 334-335.
[2] المرجع نفسه، ص 337.
[3] شكري محمد عياد، ص 30.
[4] المرجع نفسه: ص 31.

تمهيد:

مرت الجزائر بمرحلة انتقاديه حاسمة، تغير فيها المفاهيم العتيقة التي لم تعد تصلح، لعبت وما زالت تلعب الثورات الثلاث دورا كبيرا في تغيير المجتمع الجزائري، وكانت مساهمة الشعب في هذه الثورات جد فعالة؛ خرج آلاف الشباب المتطوعين إلى الأرياف لمساعدة الفلاحين في فهم الثورة الزراعية وكيفية إنجادها إذ شاركت كل فئات الشعب الواعية تقديمية في إنجاح هذه الثورات، فكيف لا يشارك الأديب بقلمه في تدعيمها، أن القول الحكيم في هذا المضمار بجدير بالملاحظة: " إذا رأيت أدبا، فاعلم أنه وراءه خسارة".

فنتساءل كيف أن كل هذه التغيرات، لا تهز كيان الأدباء الجزائريين ليضموا صوتهم إليها، هذا ما بدنا نلاحظه في الجزائر الشابة وخاصة من بدية السبعينات، حيث نهضت أقلام تعبر كل حسب نظرياته الأدبية عن كل ما يحدث من جديد في مجتمعنا، لو تصفحنا الجرائد والمجلات، لأبدت لنا كمية القصص والأشعار والمقالات الأدبية التي تتكلم عن هذا الواقع وما يمتاز به واهم التناقضات التي يتخبط فيها واضحة، وكل هذه الأعمال الأدبية الشابة، أخذت تقريبا نفس الاتجاه ألا وهي الواقعية الاشتراكية، في هذه الصفحات، نتكلم عن نموذج برز مع هذه التغيرات صدر عن كاتب له تجربة ناضبة في ميدان الكتابة وكذلك في ميدان النضالي أثناء حرب التحرير وأثناء فترة الاستقلال [1]، هذا النموذج هو رواية " نهاية أمس " لبعد الحميد بن هدوقة.

لمحة عن حياة الأديب الجزائري "عبد الحميد بن هذوقة"

ولد "**عبد الحميد بن هدوقة**" في 9يناير 1925 بالمنصورة برج بوعريريج .بعد التعليم الابتدائي انتسب إلى معهد الكتانية بقسنطينة، ثم انتقل إلى جامع الزيتونة بتونس ثم عاد على الجزائر ودرس بمعهد الكتانية بقسنطينة .نضاله ضد المستعمر الفرنسي الذي كان له بالمرصاد، دفعه إلى مغادرة التراب الوطني مرة أخرى نحو فرنسا ثم يتجه عام 1958م لتونس، ثم يرجع إلى الوطن مع فجر الاستقلال.توفي في أكتوبر 1996م.

تقلد عدة مناصب منها: مدير المؤسسة الوطنية للكتاب، رئيس المجلس الأعلى للثقافة، عضو المجلس الاستشاري الوطني ونائب رئيسه.

[1] محمد ساري: البحث عن النقد الأدبي الجديد، دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع ش، م،م، ص، ب: 14/5636 بيروت، لبنان، ص ص 167 – 168.

علّم الأدب العربي بالمعهد الكتاني بين 1954- 1955 ثم التحق بالقسم العربي في الإذاعة العربية بباريس حيث عمل كمخرج إذاعي، ومنها انتقل إلى تونس ليعمل في الإذاعة منتجاً ومخرجاً. وبعد عودته إلى الجزائر عمل في الإذاعتين الجزائرية والأمازيغية لأربع سنوات ورئس بعدها لجنة إدارة دراسة الإخراج بالإذاعة والتلفزيون والسينما وأصبح سنة 1970 مديراً في الإذاعة والتلفزيون الجزائري.

أمه بربرية وأبوه عربي مما أتاح له أن يتمتع بتلك الخلفيتين اللتين تمتاز بهما الجزائر وأن يتقن العربية والأمازيغية بالإضافة إلى الفرنسية التي تعلمها في المدارس رغم أن الفرنسية في تلك الحقبة من تاريخ الجزائر كانت ممقوتة لأنها لغة المستعمر، خصوصاً لدى سكان الريف الذين اعتبروا المتكلمين بها والدارسين لها بمثابة التجنيس. من هنا جاء قرار والده بإرساله إلى المعهد الكتاني الذي كان فرعاً للزيتونة في تونس. وكان أساتذة هذا المعهد من الأزهريين أو ممن تخرجوا من المدرسة العربية الإسلامية العليا بالجزائر. له مؤلفات شعرية ومسرحية وروائية عديدة ترجمت لعدة لغات .اكسبته نشأته في الأوساط الريفية معرفة واسعة بنفسية الفلاحين وحياتهم. ما جسده في عدة روايات تناولتها الإذاعات العربية.

مؤلفاته:

- الجزائر بين الأمس واليوم، دراسة نشرت تحمل اسم وزارة الأخبار للحكومة الجزائرية المؤقتة سنة 1959.
- ظلال جزائرية (مجموعة قصص) نشرت في بيروت عن دار الحياة سنة 1961.
- الأشعة السبعة (مجموعة قصص) صدرت في تونس عن الشركة القومية للتوزيع والنشر سنة 1962.
- الأرواح الشاغرة (ديوان شعر) صدر في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1967.
- ريح الجنوب (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1971
- الكاتب وقصص أخرى (مجموعة قصص) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1974.
- نهاية الأمس (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1975.
- بان الصبح (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1980.
- الجازية والدراويش (رواية) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1983.
- قصص من الأدب العالمي (مجموعة قصص ترجمها الكاتب واختارها من الأدب العالمي، صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1983.
- النسر والعقاب (قصة للأطفال بالألوان) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1985.

- قصة في ايركوتسك (مسرحية سوفياتية مترجمة) صدرت في الجزائر عن الشركة الوطنية للنشر والتوزيع سنة 1986.
- دفاع عن الفدائيين (دراسة مترجمة عن عمل قام به المحامي فيرجيس (نشرت في بيروت سنة 1975، وسلمت هذه الدراسة إلى منظمة التحرير الفلسطينية.
- غداً يوم جديد (رواية (صدرت في الجزائر سنة 1992في بيروت عن دار الأدب سنة 1997.
- أمثال جزائرية، صدر في الجزائر، عن الجمعية الجزائرية للطفولة سنة 1993.[1]

ملخص الرواية:

إن من الجدير بنا أولا وقبل الولوج في تحليل ما جاء في صلب الرواية إعطاء الخطوط العامة للموضوع وذلك بأخذ القليل من الكثير وكتابة عدة أسطر فليس غرضنا هو إعادة كتابة الرواية بل الإلمام بأهم أحداث الرواية كي تسهل عملية الإشارة غليها من خلال كل منا هذا.

فنحن الآن بصدد عرض الخطوط العامة لرواية " نهاية المس " التي تحتوي على أحداث كثيرة ومتنوعة والتي نبدأ تلخيصها كالآتي:

تروي لنا إذن هذه الرواية دخول المعلم بشير قرية ذات عالم متردي وأوضاع سيئة تخبئ له حقائق ومعيقات داخل واقع صعب محاولا مواجهتها وإصلاح ما يمكن إصلاحه، فيسيج المدرسة أولا لفرض نوعا من الاحترام عليها كضرورة من الضرورات الأولية وكان ذلك من نفقته الخاصة، ويحاول من جهة أخرى إيجاد عمل مقبول بالمدرسة للعجوز الفقيرة " ربيحة" التي كانت ضدها احتجاجات م قبل أهل القرية برفض إعطائها هذا العمل، بحجة أن ابنها خائن للوطن، لكن للمعلم في هذه الحالة يتحدى من جديد المعيقات التي تواجهه وستمر في مساعدة العجوز بإعانة زميله الشهم ابن البلدة " بوغرارة " الذي كانت له مكانة كبيرة وراقية عند أهل القرية، وبعدما يتجاوز المعلم هذه الوضعية وهذه الحوافز التي تعرقله يحاول الحصول على الماء ووصله بالمدرسة داخل جو من المؤامرات التي تبدر من بعض الرافضين لهذا المشروع، ولكن بفضل صداقاته في الأكاديمية والوزارة جعل هطا المشروع المعطل النائم بدار البلدية منذ سنوات يتم وينفذ والذي كان وراء تعطيل هذا المشروع وقيد تنفيذه هو " ابن الصخري" وابنه الذي كان كاتب بالبلدية وهذا كان متوقعا دائما، وهو لا يصمت ويحاول أن يقوم بعملية ابتزاز منظمة سلفا، لأن تنفيذ هذا المشروع يعني بكل بساطة إفلاسه، فيقوم بمساعدة بض أتباعه بتفجير مسجد القرية ويلصق التهمة بالبشر، كما كان متوقعا بحجة كونه لا يصلي فينعت بذلك بأنه

[1] ويكيبيديا، الموسوعة الحرة، أدباء الجزائر المعاصرون، ص 263.

كافر وملحد وشيوعي وله مصلحة في تخريب المسجد، ولكن هذا كله كان افتراءا وكذبا ولا أساس له من الصحة فلم يثبت على البشير لأن تحريات الأمن الأولى أكدت أثبتت بأنه بريء وبأن التهمة باطلة ومجانية لا دليل لها وأنها مجرد تصفية حسابات ومؤامرات دبرت م طرف " ابن الصخري" الذي يريد إبعاده من سبيله ومن طريقه نهائيا، وفي هذه اللحظات يترك الكاتب هذه الأجواء لينقلها إلى أجواء الثورة الوطنية الطويلة التي استهلك أكثر من نصف الرواية ليتحدث عنها فتتعرف من خلال ذلك على زوجته " رقية " والحياة التي جمعت بينهما وكيف أنجبت بعده بنتا أصيبت بعد ذلك بمرض السل وتوفيت فيما بعد، كما نعيش مع بشير أجواء الحرب التي تؤدي به في النهاية إلى إصابة بشظية فينقل إلى ألمانيا الديمقراطية هناك يعالج، وبعد ذلك يعوذ إلى تونس لإتمام دراسته، فيتعرف على فتاة من وسط بورجوازي متعفن " ناجية " فتقوم بينهما علاقة حب تنتهي إلى الزواج سرعان ما يزول لعدم الانسجام في طبيعة أخلاقيات كل واحد منهما، فيطلقها ويقرر الدخول إلى الوطن والبحث عن زوجته وعن ولديه الذين توفيا تحت رصاص الاستعمار " حمودة وسعدية " مع العلم ا زوجته " رقية " قد تورطت في قضية أخرجها منها الحركي وبعدها تزوجها فأنجبت منه ولدا اسمه " رابح "، ويقتل الحركي بعد الاستقلال رجما بالحجارة لخيانته الوطنية، تاركا هذا الفعل عبئا على عاتق أمه " ربيحة " وزوجته " رقية " وابنه " رابح " الذين ظلت القرية تنبذهم، ويسير بنا الكاتب مرة أخرى إلى أجواء افتتاح المدرسة والتسجيلات المدرسية التي كانت تخبئ للمعلم مفاجأة لم تكن في الحسبان ولا على البال يبدأ البشير في تسجيل أطفال القرية، تصمم عائلة " رابح " على تسجيله في المدرسة بعدما كان راعي عند ابن الصخري، فيلاحظ البشير اسم أم الولد مطابق لاسم زوجته " رقية " فيستدعيها بحجة التوقيع على وثائق ابنها المدرسية وهناك يتعرف عليها ويتأكد من شكوكه وقلقه حيال هذا الأمر، وبمساعدة صديقه بوغرارة والعجوز " ربيحة " يتزوجها من جديد كاتما سر وجوهر قصته وقصة هذه المرأة عن أهل القرية ليكمل مشوار حياته.

1- الرواية:

إن القارئ لأي عمل أدبي من بين مجموعة العمال الأدبية الأخرى فمما لا ريب فيه أنه سيخلص في النهاية إلى معرفة الهدف الذي كان يرمي إليه الكاتب من خلال إصداره لمثل هذا العمل، فلكل أديب هدف يسعى غليه والذي يتضح لنا جليا بعد قرائتنا لمجموع الحداث التي وردت في صلب هذا العمل، وهذا ما ينطبق أساسا على رواية " نهاية المس" التي تبين لقارئها الهدف المرجو من إنتاجها وهو انه " بدءا من سة 1967 تحاول رواية " ابن هدوقة " نهاية المس " ان تؤسس لنفسها انطلاقة محددة وصحيحة"[1].

[1] واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، ص 250.

يحاول من خلالها الكاتب طرح المشاكل التي واجهتها الجزائر بعد الإستقلال، بحيث أنها شهدت أوضاعا مزرية مست بذلك كل الجوانب: الجانب السياسي، والجانب الإقتصادي، الجانب الثقافي، والجانب الإجتماعي، وغيرها من الجوانب الأخرى وكل هذا انعكس سلبا على الشعب الذي كان الضحية الأكبر التي واجهت تلك المشاكل وذلك حينما كانت الضربة الأقوى التي تلقتها الجزائر بع الإستقلال من نصيبه وذلك عندما عاش الفقر والجهل والبؤس والحرمان.

بالإضافة إلى أن طرحه لهذه المشاكل كان لتشريحها وتجاوزها نحو واقع افضل، " فالرواية إذن منذ البداية تضعنا امام واقع اجتماعي مترد وشرس في آن واحد ومرفوض، يجب تغييره"[2].

الخصائص الفنية لرواية " نهاية الأمس":

تتكون بنية الرواية الناضجة من عناصر ممتدة ولا تحقق الجودة الفنية لها من دونها وهي: الشخصيات، السرد، الأحداث ، العقدة، الحل والبيئة الزمكانية.

أولا: شخصيات الرواية:

إن الرواية فن نثري تروي أحداثا وقعت لأشخاص وهؤلاء الأشخاص هم الذين يحركون الأحداث داخل البيئة الزمانية والمكانية، فكل عمل روائي إذن لا بد أن يتوفر على عنصر الشخصيات لأنه عنصر مهم في بناء العمل الروائي ومن المؤكد أن الحداث لا يمكنها أن تدور إلا إذا حركتها مجموعة من الشخصيات وتفاعل هذه الخيرة مع الحدث يمثل الدور الهم في البناء الروائي لأنه من هذا التفاعل تتولد بنية الرواية ويتحقق تأثيرها في المتلقي، وتتنوع تلك الشخصيات بين شخصيات جاهزة وهي التي لا تتغير وتبقى مسالمة لا تبدي رئيا ولا يحدث في تكوينها أي تغيير، وشخصيات نامية تتطور مع الحداث وتتغير من شخصية إلى أخرى ومن ناحية إلى اخرى.

ومن خلال قرائتنا لرواية " نهاية أمس " قمنا في الأخير باستخراج مجموعة من الشخصيات التي كان لها الدور الكبير في تحريك أحداث الرواية التي يتقمص دور البطولة فيها أشخاص أساسيون وآخرون ثانويون نبين فيما يلي اسمائهم وأدوارهم بحسب أهميتهم في تفجير النسيج الروائي.

* **شخصيات الرواية:**

[2] المرجع نفسه، ص 252.

- **البشير:**

يمثل صورة المناضل العقائدي، الحامل للقناعات السياسية الصارمة، انتقل إلى قرية مرمية على هوامش البلدة التي اختار التدريس بها، وحين وصل للقرية تعرف على المأساة من قرب على الجهل والفرق وانعدام الماء، فحاول أن يصلح ما أمكن إصلاحه،، فسيج المدرسة أولا لفرض نوع من الاحترام ثم حاول إصالتها بالماء، أين واجهته مجموعة من المشاكل ساعده في تخطيها الرجل الشهم بوغرارة.

- **بوغرارة:**

رجل عظيم، كان له دور فعال في تحرير الجزائر من بطش الاستعمار، حيث كان قائد من قادة المجاهدين وهذا ما جعله يحتل مكانة رفيعة بين أبناء قريته بعد الإستقلال مما أمكنته هذه الأخيرة من مساعدة بشير في حل مشاكله من خلال تحديه لأهل القرية.

- **ابن الصخري:**

إقطاعي، يعمل على خدمة مصالحه والمحافظة عليها، عرف بعدم صمته والقيام بعمليات ابتزازية وتنظيم مؤامرات ضد بشير محاولا بذلك إبعاده عن طريقه ليخلو له المكان لفعل ما يريد بأهل القرية.

- **القهواجي:**

الذي ساعد بشير في الحصول على الأواني المنزلية من أم الحركي وكان سببا في تعرف بشير على أم الحركي وهي عجوز حملت على عاتقها خيانة ابنها للوطن هي وزوجته رقية التي كانت قبل ذلك زوجة للبشير و تجسد دور العجوز ربيحة في القيام بشؤون التنظيف في المدرسة.

ثانيا: السرد

إن م المؤكد أن كل رواية تحتوي على عنصر السرد فلا وجود لرواية بدونه لأنه هو الأساس الذي تبنى عليه الرواية، وذلك لأن الكاتب يقوم من خلاله بعرض الأحداث التي تقوم بها الشخصيات بحسب الأدوار المنسوبة إليها وذلك بأسلوب ولغة يشترط فيها السهولة والوضوح والخفة وملائمة المعاني.

فحينما رجعنا إلى نص الرواية لاحظنا بان الكاتب بسرده للأحداث التي تقوم بها تلك الشخصيات تجعل الحدث ينمو ويتطور بسبب مؤثرات مختلفة وفي كل مرحلة من مراحله نكتشف مزيدا من التفاصيل ونتعرف أكثر على المكان والأشخاص ولهذا الحدث بداية أو وضعية انطلاق كما له أيضا وضعية نهاية أو كما نجد أيضا في بعض الأحيان نهايتين كما هو الحال في رواية " نهاية الأمس " التي تضعنا أمام نهايتين نهاية أولى ونهاية ثانية فمن خلال عملية السرد التي قام بها الكاتب لتلك الأحداث قمنا بالتعرف على هاتين النهايتين وكيف جرت كل واحدة منهما.

ثالثا: الأحداث:

لا تخلو أي رواية من قصة تنشأ عن أحداثها نمو الرواية وتحركها، فكل رواية لا بد لها أن تدور حول أحداث معينة لكي لا تكون ذات حركة مفرغة مع اشتراط أن يرتكز هذا الحدث على قضية أو فكرة يدور حولها نوع من الصراع الذي يكون أساسا بين شخصيات الرواية وهذا ما اتضح لنا جليا في رواية " نهاية الأمس " التي دارت أحداثها حول فكرتين أساسيتين، الأولى وهي محاولة القضاء على الإقطاعية والثانية حول محاولة تحقيق الاشتراكية فيشتد بذلك الصراع في بداية الأمر بين المعلم البشير وأهل القرية لمعارضتهم لجميع محاولاته في إصلاح حال قريتهم وبخاصة معارضتهم لتوظيفه لأم الحركي في المدرسة لينتقل بعدها ذلك الصراع ويستقر بين المعلم بشير الذي يحاول تحقيق الاشتراكية وان الصخري الإقطاعي الذي يلهث وراء مصالحه فبدأ ذلك الصراع يكبر بينهما شيئا فشيئا حتى وصل بمحاولة " ابن الصخري " بالقضاء على البشير الذي كان المعرقل الوحيد والأكبر لمصالحه الخاصة وذلك عندما دبر مؤامرة شنيعة ضده ووجه أصبه التهمة نحوه لينتقل بنا بعد ذلك الكاتب من ذلك الصراع إلى ماضي البشير من جديد وبالتحديد مع زوجته السابقة التي تعرف إليها من خلال شهادة ميلاد ابنها الذي استعملها أثناء التسجيلات المدرسية محاولا ذلك استرجاعها والعيش معها بطي صفحات الماضي وبداية حياة جديدة واستكمال مشروعه الذي بدأه بهذه القرية النائية والانتقال بعدها إلى قرى أخرى لإصلاحها كما فعل مع هذه القرية.

رابعا: العقدة

اتضح لنا أثناء تعمقنا في قراءة الرواية مزيدا من التفاصيل عن المعلم بشير وعن حالته النفسية وعن ذلك الصراع الذي بدأت من خلاله الأحداث تتسارع إلى ذروة التأزم وذلك عندما حاول " ابن الصخري" بعد أن ضاق ذرعا بأعمال البشير التي تعرقل سير مصالحه الخاصة إبعاده عن طريقه بفعل مؤامرة منه وهي تفجير المسجد والصاق التهمة به وسجنه.

خامسا: الحل

إن من المؤكد أن لكل أزمة حل وهذا ما نطبق على الرواية التي هي محل دراستنا الآن فعندما بدأت الأحداث فيما تتسارع فقد اقتربت أكثر إلى النهاية التي هي حل للعقدة التي تمثلت أساسا في محاولة " ابن الصخري" لسجن المعلم بشير وذلك بتفجيره للمسجد واتهامه بارتكاب مثل هذا الفعل الشنيع بحجة أنه لا يصلب وبأنه ملحد وشيوعي وعند سماع أهل القرية لهذا الخبر هجموا عليه محاولين بذلك ضربه وإخراجه من القرية ولكن بتدخل رجال الدرك وبعد تحقيقات ملحة منهم على معرفة الحقيقة توصلوا في النهاية إلى أبطال التهمة عن البشير لأنه لم يرتكب هذا العمل وكشف ابن الصخري على حقيقته.

سادسا: البيئة الزمكانية

وهي البيئة التي تتحرك فيها الشخصيات وتتوزع بين بيئة زمانية وتتمثل في المرحلة التاريخية التي تصورها الأحداث وهي مرحلة ما بعد الاستقلال.

وبيئة مكانية تتمثل في قرية نائية وهي القرية التي دارت فيها مختلف الأحداث التي تدل على تلك المرحلة من التاريخ.

*** خصائص الواقعية الاشتراكية عند العرب:**

بما أننا بصدد دراسة رواية عربية فنحن مضطرين لدراسة الخصائص العربية ونحن نجملها فيما يلي مع التمثيل من الرواية:

الخاصية الأول:

– الأمانة التاريخية[1]:

وذلك بنقل الأحداث التاريخية نقلا دقيقا لا يشوبه تحريف ولا تزييف ويتجلى هذا في الرواية من خلال نقل الكاتب لأحداث الثورة التي في القرية بين المستعمر وولد بشير " حمودة": " ...الخط المحدب يقترب ويقترب...ملامح

[1] واسيني الأعرج: المرجع السابق، ص 473.

الوجوه تتضح وتتضح، اليد اليسرى يشتد ضغطها على عمارة البندقية الرشاشة...رقية ممتدة في فراشها ويدها على فرجها...الفتاة الباريسية تخرج لسانها للمرأة...العسكري الذي يتقدم الفرقة ضابط برتبة ملازم...شوكة التسديد في بندقية الشيخ حمودة ترتسم على صدر الضابط كالصليب، سبابة الشيخ حمودة تضغط ولسانه يكبر وقلبه يصعد إلى حلقه، طلقات البندقية الرشاشة تدوي متتابعة...الخط العسكري يتبعثر...يسقط الضابط الملازم ويسقط ورائه ثلاثة آخرون...المباغتة تضيع رشد العساكر...يطلقون نارهم في كل اتجاه...سبابة الشيخ حمودة تستمر ضاغطة على الزند والطلقات النارية تضج في فوهة البندقية...يسقط أربعة آخرون الشيخ حمودة يحس بشيء يخترق جبينه ويرى حجر الصلاة ينقلب عليه، قصة الشرف لا تكتبها الأقلام...

الحادثة تهز القرية هزا عنيفا، السكان يبكون شهيدهم الجديد الشيخ حمودة، طغيان عساكر الاستعمار يشتد على القرية فيخنقها خنقا قراراتها الظالمة تجعل من حياة السكان جحيما[2].

الخاصية الثانية:

التفائل والتنبؤ[3] بمستقبل أفضل: وذلك بالتطلع إلى غد أفضل تسود فيه العدالة الاجتماعية بين الأفراد " فكر البشير أن يحدث بوغرارة في موضوع يشغل باله من الأمس:

- لم افهم!
- يجب أن نبذل كل مجهود لا نجاح المدرسة في وضعها الحلي، و

ولكن ينبغي أن ندرك أن تشتت السكان بفشل المدرسة في مهمتها.

- مدرستنا؟
- هذه المدرسة وكل المدارس التي تشبهها في الوضع
- لكن من يستطيع أن يجمع السكان؟

والسكان أنفسهم، وخاصة الفقراء، والحكومة.

- طبعا الحكومة تستطيع جمع السكان ولو بالقوة، لكن...
- إ المدرسة الجزائرية الحقيقية هي تلك التي يستخلق يوما أن تبرز القرى الزراعية إلى الوجود وهنا يبدوا أن في المر بنوءة وهو التنبأ نحو مستقبل تبرز فيه قرى زراعية إلى الوجود[1].

---

[2] الرواية: ص 110.

[3] واسيني الأعرج: المرجع السابق، ، ص 471.

الخاصية الثالثة:

تصوير الحياة تصويرا صادقا[2]: وذلك بالابتعاد عن العوامل الخيالية وتجاوزها لأنها تفتت صلة الكاتب بواقعه " الأحجار الجاثمة هنا وهناك على حفافي الطريق محمرة في سواد الأرض المحاذية لا يربط بين أتربتها إلا عروق سوداء أو بيضاء كالأفاعي، العرى هو الكساد الوحيد الذي تلبسه الأرض ! كأن ريح ذرية نسفتها فإذا كل شيء عار، وإذا كل شيء كئيب، وإذا الشمس تفقد أشعتها فتضيء بلا حنان ولا جمال، وإذا الأرض تعطي للنظر صورة هرمها الفظيع !

كانت الطريق ملتوية محدبة، فإذا ما انبسطت فلتنقبض أكثر، وإذا ما امتدت فلتلتوي أشد.

وكانت سيارة " اللاندروفير " تشخر شخيرا حديديا ملوثا بالغبار ورائحة البنزين وكانت القرية تبدوا حينا وتختفي أحيانا، وفي بدوها لا يمسك النظر منها إلا أكواخا ودورا هنا وهناك، تابعة في حجر جبل عار، لكن ذاروا واحدة من بينها جعلها بياضها الناصع وموقعها المتطرف تبدوا غريبة...فقال السائق وهو يراها مخاطبا رفيقه:

– تلك هي المدرسة، أرأيت، إنها غريبة!

فأجاب البشير في تساؤل غير مكترث:

– ولماذا غريبة؟

– فقال السائق:

– هذه الطريق...أترى سيارة " س" اليكترونية تستطيع السير

معها؟ كلا، يجب لها سيارة شحن أو " لاندروفير" مثل هذه ...كذلك.

مدرسة هذه القرية يجب لها معلم " لاندروفير" ![1]

الخاصية الرابعة:

---

[1] الرواية: ص 259.
[2] واسيني الأعرج: المرجع السابق ، ص 474.

[1] الرواية: ص ص 7 – 8.

–لا تعكس اتجاهات الماضي وإلى ضر فحسب وإنما تشير أيضا إلى طبيعة تطورها في المستقبل [2]، فالحاضر كان منطلق المستقبل، ولاتقتصر خيوطه إلأ على ضوء الأمس.

–" قل لي ماهي المدرسة في نظرك؟

–لست أدري...

–لا تريد أن تجيب...المدرسة هي المستقبل الجديد الذي لا يستغني عن الماضي.

–لا يتغني عن الماضي!

–نعم بلا ماضي لا وجود للمستقبل!

–هذه وجهة نظر...

–صحيحة، فالأمة التي لا ماضي لها ولا شخصية تميزها لا تعد أمة.

–وهذه أيضا وجهة نظر...

–وصحيحة أيضا! آه يا صديقي، ظننتك عندما هجرت المدينة إلى القرية عدت إلى الأصل، للمنبع...

– لم آت للبحث عن الماضي ولا لإعادة ترميمه، جئت ابحث عن المستقبل

–ولكنك هارب من هذا المستقبل!

–في سبيل مستقبل أفضل[3].

الخاصية الخامسة:

تحرير الشعوب من التخلف الحضاري [1]المزري الذي خلفه الإستعمار وذلك بالقضاء على الجهل وذلك بمحاولة نشر الوعي والعلم والثقافة بين أطفال القرية الذين هم أمة الغد بفتح مدرسة تختص بتعليم هؤلاء الأطفال التي تعد الوحيدة القادرة على القضاء على التخلف الحضاري.

[2] واسيني الأعرج: المرجع السابق، ص 473.
[3] الرواية: ص ص 262 – 263.

– ذلك هو الصواب، غدا اخبرهم، وابدأ التسجيل يوم الإثنين

– المقبل، اتظن أن الناس يسجلون أبنائهم؟

– قد يترددون في البداية، ثم يتعاندون

– كم يكون عدد الطفال؟

– الذين يبلغون السادسة؟

– السادسة والسابعة والثامنة، إلى العاشرة.

– إلى العاشرة يتجاوزون المائة! كنت أطن أن لا حق إلا لمن في السادسة؟

– صحيح ولكن مادامت المدرسة تفتح لأول مرة فالفضل ان تفتح في وجه الجميع. وسأرى كيف أنظم أوقات الدروس أوقات الدروس بالنسبة لأعمارهم ومعرفتهم القراءة والكتابة.

– لو فعلت ذلك لانقضت الكثير من الجهل. على الأقل يتعلمون القراءة والكتابة أولئك الذين تجاوز سنهم حد المدرسة[2].

وتجسد ذلك أيضا في قوله:

" هو ينوي أن يعلم الأطفال كل شيء

حتى غسل أيديهم وأوجههم، وجلوسهم إلى المائدة وكيف يأكلون[3].

الخاصية السادسة:

ومن خصائصها أيضا إنها المنصف الوحيد من الفقر [1] فهي تعمل على إخراج المجتمعات من الفقر والبؤس والأوضاع المزرية التي تعيشها للسير بها نحو واقع أفضل وتحقيق الاشتراكية بين أفراد المجتمع الواحد: " هو منهمك في عمله ذاك وإذا بابن الصخري يقف أمامه محييا

---

[1] د- نسيب نشاوي: المدارس الأدبية في الشعر العربي، ص 332.

[2] الرواية: ص ص 199 -200.

[3] الرواية: ص 117.

– الله يعينك!؟

– يعين الجميع

– ماذا تعمل!

– ما ترى

– أتريد ضرب سياج على المدرسة؟

– على أرضها

– أنت تحب الأرض

– لفائدة غيري[2].

وصولا به إلى:

– أتدري أن الحكومة بصدد إعداد ميثاق الإصلاح الزراعي؟

– وماذا يهمني ذلك؟

– ومن يهم إذن؟

– إن هذه القرية أرضها لا تسمن ولا تغني من جوع.

– كل القرى الجزائرية التلية كذلك. ولذلك لا بد من الإصلاح الزراعي

– وماذا فعل التسيير الذاتي بالأراضي الخصبة؟ ألم يصيرها قاعا صفصفا؟

– التسيير الذاتي نجح. وإذا كان هناك فشل فلن يعود إلى العمال.

– لمن يعود إذن؟

– للمؤتمرين على فشله، الذين يخشون الإصلاح الزراعي بعده.

– ألا تخاف الإصلاح الزراعي؟

– ولماذا أخافه ما دمت متحققا أنه لن ينجح

– وإذا نجح؟

– لا يمكن

---

[1] د- نسيب نشاوي: المرجع السابق، ص 332.

[2] الرواية: ص 188.

– لماذا لا يمكن؟

– لأنه يخالف طبائع الأشياء

– فهل من طبائع الأشياء أن يملك شخص أكثر مما تملكه قرية.

مجتمعة؟[1]

الخاصية السابعة:

الموضوعية[2] وتكون بنقل الواقع كما هو في الحقيقة وليس كما يراه الكاتب من وجهة نظره الخاصة فعلى الكاتب نقل الأحداث الموجودة والمتمثلة على أرض الواقع دون زيادة عليها ولا نقصان.

الخاصية الثامنة:

يعملون على التغيير [3]: وذلك بالعمل المستمر على تغيير صورة المجتمع التي خلفها الاستعمار وجعل منها مجتمعات مهدمة حضاريا ومعماريا وثقافيا وغيرها وكل هذا التغيير من أجل السير بها نحو واقع أفضل وتجاوز ما أمكن تجاوزه من مخلفات هذا المستعمر " كانت بلا ماء فبعد أيام قلائل يصلها الماء، وكانت بدون تلاميذ.

وهي الآن تشمل على خمسة وأربعون تلميذا، وسيزيد عددهم في الأيام

المقبلة. كانت مهملة وهي الآن مسيجة الساحة. لها عاملة تسهر على تنظيفها والعناية بشؤونها، والمعلم الذي يرسل إلى هناك الآن لا يجد أي

صعوبة، إن كان أغرب أمكنة أن يجد بها من يعد له الطعام وتنظيف

ثيابه، وغن كان متزوجا فلديه كل المرافق ليحيا بها مطمئنا هذه

الأيام القلائل التي عشتها هناك بعثت المدرسة والقرية كليهما إلى الوجود[2].

---

[1] الرواية: ص ص 189 – 190.

[2] د- نسيب نشاوي: المدارس الأدبية في الشعر العربي، ص 332.

[3] المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

[2] الرواية: ص 261.

شهدت مرحلة السبعينات فترة ازدهار النص الروائي في الجزائر، والذي كان يتكئ على إنجازات المدرسة الواقعية الاشتراكية، ويتفاعل مع أطروحتها الفكرية الفنية بطريقة دوغماتية، ويعود هذا الفهم الإنتفاعي الضيق عند هؤلاء الأدباء الذين كانوا يطمحون " لمواكبة الواقع السياسي والتعبير عنه من خلال هذه المنظومة الثقافية التي ترتكز على طبقية الأدب وشعبيته وحزبيته، ويتجلى هذا بوضوح في العمال الروائية التي كتبها عبد الحميد بن هذوقة في تلك المرحلة المتأججة بالحماس الشعوبي للاختيار الاشتراكي.

وفي الأخير السلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

قائمة المصادر و المراجع

المصادر:

1/ رواية عبد الحميد بن هدوقة: نهاية أمس، ط 2، 1978، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع– الجزائر.

المراجع:

1/ أنور الجندي: الفكر والثقافة المعاصرة في شمال إفريقيا، الدار التومية للطباعة والنشر- القاهرة 1965م.

2/ سعاد محمد خضر: الأدب الجزائري المعاصر، دراسة أدبية نقدية، منشورات المكتبة العصرية – بيروت 1967م.

3/ شكري محمد عياد: المذاهب الأدبية النقدية عند العرب والغربيين.

4/ عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1971.

5/ عبد العزيز شرف: المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، منشورات وزارة الثقافة – دمشق 1971.

6/ عبد الله أبو حنيف: الإبداع السردي الجزائري سحب الطباعة الشعبية للجيش 2007 .

7/ عبد الله الركيبي: تطور النشر الجزائري الحديث 1830-1974 م المؤسسة الوطنية للكتاب، 1983 م.

8/ فؤاد مرعي: مدخل إلى الآداب الأوروبية.

9/ فتحي بوخالفة: التجربة الروائية المغاربية - دراسة في الفاعليات النصية وآليات القراءة – جامعة المسيلة، عالم الكتب الحديث أربد – الأردن – 2010 م.

10/ محمد تحريشي: في الرواية والقصة والمسرح – قراءة في المكونات الفنية والجمالية والسردية عاصمة الثقافة العربية.

11/ محمد مستجير مصطفى: ترجمة الواقعية في الدب والفن، الطباعة الحديثة دار الثقافة الجديدة، القاهرة، ط1، مارس 1976.

12/ محمد مصايف: النثر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1983 م.

13/ محمود السمدة: في النقد الأدبي مكتبة الجامعة الأردنية.

14/ مصطفى فاسي: دراسات في الرواية الجزائرية .

15/ نسيب نشاوي: المدارس الأدبية في الشعر العربي المعاصر " الاتباعية – الرومانسية – الواقعية- الرمزية" ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1984.

16/ واسيني الأعرج: اتجاهات الرواية العربية في الجزائر، بحث في الأصول التاريخية والجمالية للرواية الجزائرية، المؤسسة الوطنية للكتاب الجزائر 1986 م .

قائمة المجلات:

1/ إبراهيم عباس : إتجاهات القصة الجزائرية القصيرة بعد الإستقلال (1962 – 1980) بحث مقدم لنيل درجة الماجستر في الدب الجزائري ن جامعة القاهرة 1986 – 1987.

2/ إدريس بوذيبة: الرواية والبنية في روايات الطاهر وطار بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب الجزائري جامعة قسنطينة 1995- 1996م.

3/ بوذيبة ادريس: الرؤية والبنية في الروايات الطاهر وطار، بحث مقدم لنيل درجة الماجستير في الأدب الجزائري. جامعة قسنطينة 1995-1996 م.

4/ عشراني سليمان: معركة التعريب في الأدب الجزائري من متطلبات درجة الماجستير في آداب اللغة العربية جامعة بغداد 1983.

5/ علجية مرحوم: القضية الجزائرية في الرواية الناطقة باللغة الفرنسية، دراسة مقارنة 1935 – 1962 رسالة ماجستير في الآداب 1986 – 1987 جامعة دمشق 1986 – 1987 .

6/ ليندة خراب: تناص التراث الشعبي في الرواية العربية الجزائرية (الجازية والدراويش، الحوات والقصر، نوار اللوز) نموذجا مقدم لنيل شهادة الماجستير في 7/ الأدب العربي الحديث معهد الآداب واللغة العربية، جامعة قسنطينة (الإخوة منتوري) 1998- 1999 م.

8/ المركز الجزائري للإعلام والثقافة: الأدب الجزائري المعاصر وثيقة رقم 11.

9/ الموسوعة العربية العالمية الالكترونية (1425 هـ /2004 م).

فهرس الموضوعات

- **مقدمة.....(ب)**
- **مدخل: الرواية الجزائرية.....(4)**

0 – مدخل حول الرواية.....(4–9)

1 – الظروف التي نشأت في ظلها الرواية الجزائرية.....(9–14)

2 – أهم أعلام الرواية الجزائرية.....(14)

3 – أسباب تأخر ظهور الرواية الجزائرية.....(14–17)

- **الفصل الأول: الواقعية الاشتراكية في الأدب الغربي والعربي.....(19)**

0 – مدخل حول الواقعية.....(19–20)

1 – خصائص الواقعية الاشتراكية عد الغربيين.....(20–24)

2 – رواد الواقعية الاشتراكية الغربيين.....(26)

3 – الواقعية الاشتراكية في الأدب العربي.....(26–29)

4 – رواد الواقعية الاشتراكية العرب.....(30)

- **الفصل الثاني: توضيح الواقعية الاشتراكية في رواية " نهاية المس"....(32)**

– تمهيد.....(32)

– لمحة تاريخية حول حياة الأديب الجزائري " عبد الحميد بن هدوقة".....(32–33)

– تلخيص الرواية.....(33–34)

– الرواية..... (35– 36)

– بعض الخصائص الفنية في رواية " نهاية الأمس ".....(36–39)

– توضيح الواقعية الاشتراكية في رواية عبد الحميد بن هدوقة " نهاية الأمس"...(39–46)

- خاتمة.....(48)
- قائمة المراجع.....(50)
- فهرس الموضوعات.....(52)